تنبيه: هذه المادة لم يراجعها الشيخ حتى الآن

شرح
كشف الشبهات

١٤٣٠هـ

لفضيلة الشيخ / حمد بن عبدالله الحمد حفظه الله

تاريخ الإضافة / شوال / ١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كشف الشبهات

فبين أيدينا رسالة نافعة ، لشيخ الإسلام الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، هذه الرسالة هي كشْف الشبهات .

والكَشْفُ : هو الرَّفْع والإبانة .

والشُّبهات : جمع شُبهة ، وأصلها من الاشتباه ، وهو الالتباس ؛ لأن صاحب الشبهة يَلبِس الحق بالباطل ، كما قال تعالى : **﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾** [1] ، فهذا المُشبِّه المبطِل ، يَلبِس الحق بالباطل ، أي يخلط الحق بالباطل . ففي هذا الباب (**باب توحيد العبادة**) مثلاً ، تجد أنهم يستدلون على جواز الشرك بأن الصالحين لهم مترلة عند الله ، وأن للأولياء حقاً عند الله ، فيستدلون بالأدلة الدالة على أن الصالحين المتقين هم أولياء الله ، والدالة على فضلهم وكرامتهم عند الله ، يستدلون بها على جواز التوسل بهم ، أي الاستغاثة بهم ودعائهم من دون الله سبحانه وتعالى ، واتخاذهم وسائط بين الله تعالى وبين عباده ، فيلبسون الحق بالباطل ، فالأدلة إنما دلَّت على أن للصالحين حقا وفضلا ودرجة ومترلة عند الله وعند المؤمنين ، والأدلة كذلك قد نهت عن اتخاذهم وسائط بين الله عز وجل وبين عباده ، فهؤلاء يخلطون بين الأمرين . كذلك في باب الأسماء والصفات ، تجد أن نُفاة ما دل عليه الكتاب والسنة من الأسماء والصفات يستدلون بالآيات التي فيها تتريه بقوله تعالى**﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** [2] على نفي الصفات الواجبة ، فيلبسون الحق بالباطل . فهذا الكتاب فيه رفعٌ أي إبطال شبه المبطلين في باب توحيد العبادة ، الذين يردون على الله حججه وبيناته .

قوله : [اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة ، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده فأولهم نوح عليه السلام ، أرسله الله إلى قومه]

---

[1] – البقرة : [٤٢]

[2] – الشورى : [١١] .

فدعوة الرسل هي دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، فكل نبي يقول لقومه : **﴿ أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾**[٣] **﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾**[٤]، فكل نبي يدعو قومه إلى توحيد العبادة ، وهكذا من كان يرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأقاليم من الصحابة رضي الله عنهم ، فقد أرسل معاذاً إلى اليمن ، وقال ﷺ : (**فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله**) [٥]، وفي رواية (**إلى أن يوحِّدوا الله**)[٦] . فالتوحيد هو دعوة الرسل كلهم ، وأولهم نوح عليه الصلاة والسلام ، وأما الأنبياء فأولهم آدم أبو البشر عليه الصلاة والسلام ؛ لأن الرسول هو الذي يُبعث إلى قوم مخالفين [٧]، وأما آدم ، فإنه لم يبعث إلى قوم مخالفين، وإنما بُعث إلى أناس موافقين من ذريته عليه الصلاة والسلام ، وأما نوح فإنه بعث إلى قوم مخالفين ، وفي حديث الشفاعة في الصحيحين أن الناس إذا أتوا إلى نوح عليه الصلاة والسلام قالوا :(**يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض**)[٨]فأول رسل الله هو نوح عليه الصلاة والسلام .

قوله [لما غلوا في الصالحين وداًّ وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا]

وهذه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في البخاري[٩] : " أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه الصلاة والسلام ، لما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك ، وتَنَسَّخ العلم – أي نسي العلم شيئا فشيئا – " **عُبدت** " وفيه أيضاً أن هذه الأنصاب قد انتقلت إلى العرب ، وفيه أيضاً أن أصل شرك العالَم هو الغلو في الصالحين .

قوله : [وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي كسّر صور هؤلاء الصالحين]

---

٣ – الأعراف : [٦٥و٧٣و٨٥].وهود : [٥٠] .

٤– النحل : [٣٦] .

٥ – متفق عليه رواه البخاري برقم [١٣٨٩] كتاب الزكاة ز باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة من حديث ابن عباس رضي الله عنه ، ومسلم في كتاب الإيمان باب : الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام رقم [١٩] من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

٦ – متفق عليه : أخرجه البخاري في كتاب التوحيد . باب ماجاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله برقم [٦٩٣٧] ،ومسلم في كتاب الإيمان باب : الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام رقم [١٩] من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

٧ – انظر كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى . ص٢٥٥ .

٨ – متفق عليه : أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب : قول الله عزوجل (ولقد ارسلنا نوحا إلى قومه) رقم [٣١٦٢] . ومسلم برقم [١٩٤] كتاب الإيمان باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

٩ – البخاري : كتاب التفسير باب : (ودًا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) رقم [٤٩٢٠] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فإنه عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين[١٠] : دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصبٍ ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا** ﴾[١١] ، وقال تعالى : (**وجاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد**)[١٢]فهو الذي كسّر أصنام هؤلاء الصالحين ، ومن هنا يُعلم أن العرب الذين بُعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يعبدون الأصنام لذاتها وإنما لأنها كانت صوراً للصالحين ولأن أرواح الصالحين تحل فيها ، ويعتقدون أنهم شفعاء ووسائط عند الله ، فيسألونهم ويدعونهم ويتوكلون عليهم .

قوله : [أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقين وسائط بينهم وبين الله]

فالذين بُعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعبدون الله ، يحجون له ويتصدقون ، ويذكرونه ويحبونه ؛ قال سبحانه وتعالى :﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله** ﴾[١٣] ، وكانوا يقولون في تلبيتهم : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك)[١٤]، فعندهم الإله الأكبر هو الله سبحانه وتعالى ، ولذا يقولون : (إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك) ، ويتخذون هذه المعبودات وسائط وشفعاء لهم عند الله تعالى ، ولذا قال الله تعالى عنهم : ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ [١٥]، يعني : ما نعبدهم لشيء إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، قال تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾.

قوله : [يقولون : نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة ، وعيسى ومريم ، وأناس غيرهم من الصالحين]

تقدم أن هؤلاء المشركين قد اتخذوا تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله وسائط بينهم وبين الله عز وجل ، وهذا شرك أكبر بإجماع الأمة ، قال شيخ الإسلام : " ومن اتخذ بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم ، كفر إجماعاً " ، قال تعالى عن هؤلاء : ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾

---

١٠ – البخاري : كتاب المغازي باب : أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح . رقم : [٤٠٣٦] . ومسلم : كتاب الجهاد . باب إزالة الأصنام حول الكعبة . رقم : [١٧٨١] من حديث عبدالله بن مسعود .

١١ – الإسراء : [٨١] .

١٢ – سبأ : [٤٩].

١٣ – البقرة : [١٦٥] .

١٤ – أخرجه مسلم كتاب الحج ، باب : التلبية وصفتها ووقتها برقم : [١١٨٥] من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

١٥ – الزمر : [٣] .

، وقال تعالى في كتابه الكريم أيضا : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾[١٦] .

قوله : [فبعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يجدد لهم دينهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام ، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى ، لا يصلح منه شيء لغير الله لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ، فضلا عن غيرهما]

(بيان إقرار المشركين بالربوبية)

[وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له ، وأنه لا يرزق إلا هو ، ولا يُحيي إلا هو ، ولا يُميت إلا هو ، ولا يدبِّر الأمر إلا هو ، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن ، والأرضين السبع ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره ، فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشهدون بهذا فاقرأ عليهم : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾[١٧]]

إذاً كانوا يقرون أن الذي يرزقهم من السماء والأرض هو الله ، والذي يملك السمع والأبصار هو الله ، والذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي هو الله ، والذي يدبر الأمر هو الله ؛ ولذا قال سبحانه : ﴿ **فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون**﴾[١٨] أفلا تتقون الله فتفردونه بالعبادة كما أقررتم أنه الرب الرازق المحي المميت ، قال تعالى : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾[١٩] ، أي : ما يؤمنون به رباً وخالقاً ورازقاً إلا وهم مشركون به في العبادة . إذاً كان هؤلاء مقرين بالربوبية ، فلم يدخلوا به في الإسلام .

قوله : [وقوله تعالى ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يُجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾[٢٠] وغير ذلك من الآيات .]

---

١٦ – يونس : [١٨] .

١٧ – يونس : [٣١] .

١٨ – المؤمنون : [٣١] .

١٩ – يوسف : [١٠٦] .

٢٠ – المؤمنون : [٨٤– ٨٩] .

أو كقوله تعالى : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولون الله**﴾[٢١]، فكانوا يؤمنون أن الله هو الرب الخالق الرازق المحيي المميت وغير ذلك من معاني ربوبيته لكنهم يعبدون معه غيره ، وإنما أنكروا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه جعل الآلهة إلها واحدا، قال الله تعالى – حكاية لقولهم – ﴿ **أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب**﴾[٢٢] . إذاً هم يؤمنون بتعدد الآلهة في باب العبادة ، ويعتقدون أن الإله الأكبر هو الله ، ولذا يقولون : " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك " [٢٣]، لكنهم يرون أن هؤلاء وسائط بينهم وبين الله سبحانه .

(جحود المشركين لتوحيد العبادة)

قوله : [فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، ودعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد)]

فيسمي المشركون عبادة الصالحين بالاعتقاد ، وقد يسمون من يُعبد مع الله تعالى من الأولياء أو من يُزعم أنه من الأولياء بـ (السِّر) ، ويريدون بالسر : القدرة على النفع والضر والتصرف في الكون وأن الله قد أعطاه ذلك كرامة له ، وهذا كما تقدم شرك أكبر ، بل هو أيضا شرك في الربوبية ، لأن من اعتقد أن هناك من ينفع أو يضر من دون الله عز وجل فقد أشرك بالربوبية ، سواء كان يعتقد أنه مستقل عن الله بذلك أو أن الله قد أعطاه هذه القدرة من باب الكرامة له .

قوله : [كما كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ليلا ونهارا ، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله عز وجل ليشفعوا له أو يدعو رجلاً صالحا مثل اللات ، أو نبيا مثل عيسى]

اللات : كان رجلا صالحا يَلتُّ السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره [٢٤] ، ، فمن يظن أن المشركين كانوا يعبدون الأحجار فقط فقد اخطأ ، بل كان منهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد المسيح ، وهم النصارى ، ومنهم من يعبد اللات كمشركي قريش ، وكانوا يعبدون هذه المعبودات كلها لتقربهم إلى الله وتشفع لهم عنده كما تقدم تقريره .

---

[٢١] – العنكبوت : [٦١] .

[٢٢] – ص : [٥] .

[٢٣] – سبق تخريجه ص ( ).

[٢٤] – – ثبت عن ابن عباس– رضي الله عنهما – كما في البخاري : كتاب التفسير . باب : (أفرأيتم اللات والعزى) برقم : [٤٨٥٩] .

قوله : [وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده ، كما قال تعالى : ﴿ فلا تدعو مع الله أحدا﴾[٢٥]، وقال : ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾[٢٦]]

ودعوة الحق هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ، ومن العبادة الدعاء ، فالدعاء لا يكون إلا لله وحده ، فدعوته حق ، ودعوة غيره باطلة ، **﴿ والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه﴾** فالذي يبسط كفيه إلى الماء ليصل كفيه فيشربه لا يمكن ذلك عادة ولذا قال تعالى : **﴿ وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾** [٢٧].

قوله : [وتحققت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله والنذر كله لله والذبح كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، وجميع أنواع العبادة كلها لله ، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام ، وأنَّ قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وأبى عن الإقرار به المشركون]

ولذا قال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين : (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عَصَموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**)[٢٨] ، فلم تُعصم أموالهم ولا دماؤهم مع إقرارهم بالربوبية ، بل استباح النبي صلى الله عليه وسلم دماءهم وأموالهم حتى أقروا بالتوحيد الذي هو إفراد الله تعالى بالعبادة .

(حقيقة التوحيد ومعنى لاإله إلا الله)

قوله : [وهذا التوحيد هو معنى قولك : لا إله إلا الله ، فإن الإله عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرة أو قبرا أو جنيا لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر ، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك ، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا

---

٢٥ – الجن : [١٨] .
٢٦ – الرعد : [١٤]
٢٧ – الرعد [١٤] .
٢٨ – متفق عليه : أخرجه البخاري في كتاب الإيمان . باب : قوله تعالى : (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) برقم : [٢٥]ومسلم في كتاب الإيمان . باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة . رقم : [٢٢] من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

بلفظ (السيد) ، فأتاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي (لا إلــه إلا الله) ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها]

أي ليس المراد من " قول لا إله إلا الله " مجرد اللفظ ، بل المراد المعنى ، أي لا معبود حقٌ إلا الله أي لا تكون العبادة إلا لله ، فله العبادة وحده دون ما سواه ، فلا نذر ولا ذبح ، ولا دعاء ولا استغاثة إلا له جل وعلا ، فيُفرد سبحانه وتعالى بالعبادات كلها .

(بيان أن المشركين الأوائل كانوا أعلم بـــ لا إله إلا الله من مشركي زماننا)

قوله : [والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الكلمة هو إفــراد الله تعالى بالتَّعلُّق والكفر بما يعبد من دونه ، والبراءة منه ، فإنه لما قال لهم : قولوا لا إله إلا الله ، قالوا : ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ﴾[٢٩] ، فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفــون ذلـــك ، فالعجب ممن يدَّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار ، بل يظــن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني ، والحاذق منهم يظن أن معنها لا يخلق ولا يرزق إلا الله ، ولا يدبر الأمر إلا الله ، فلا خير في رجل جُهال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إلــه إلا الله)]

فإن هؤلاء المتكلمين يقولون: إن معنى لا إله إلا الله ، أي لا قادر على الاختراع إلا الله ، فيفسرون الألوهية بالربوبية ، فالتوحيد عندهم هو توحيد الربوبية ، فيقولون : إن معنى (لا إلــه إلا الله) أي لا خــالق ولا رازق ولا مدبر إلا الله ، وكما قال الشيخ رحمه الله : " فلا خير في رجل جُهَّال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله)" .

" فوائد معرفة التوحيد والشرك "

قوله : [إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب ، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيــه : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾[٣٠] وعرفــت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه ، وعرفت مــا أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين]

(الفائدة الاولى : الفرح برحمة الله)

٢٩ – ص : [٥] .
٣٠ – النساء : [٤٨] .

[الفائدة الأولى : الفرح بفضل ورحمته ، كما قال تعالى : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾[٣١]]

فضل الله هنا هو الإسلام ، ورحمته القرآن ، كما وردت بذلك الآثار عن السلف في تفسير هذه الآية . ﴿ **قل بفضل الله**﴾ أي الإسلام من توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، ﴿ **وبرحمته**﴾ من القرآن المُنزَّل الذي جعله الله عز وجل تبيانا لكل شيء ، ﴿**فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**﴾ ، فيفرح العبد بإسلامه ، ويفرح بما أنزله الله تعالى على نبيه من هذا الوحي الذي جعله الله تعالى تبيانا لكل شيء ، فإن ذلك خير مما يجمعونه من حطام الدنيا .

(الفائدة الثانية الخوف العظيم من الكفر)

قوله : [وأفادك أيضا الخوف العظيم ، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يُخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل ، فلا يُعذر بالجهل]

هذا يفيدنا الخوف العظيم من الشرك ، فإذا علم الرجل أن أناسا كانوا من أذكياء الناس قد ضلوا في هذا الباب ، مع أن الله عز وجل قد بينه في كتابه أعظم البيان وأوضحه غاية الإيضاح ، فإنه يخاف من الشرك ، كما قال نبي الله إبراهيم : ﴿ **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام**﴾[٣٢]، ويكون حينئذ نظره في هذا الباب ليس عقليا مجرَّدا ، وإنما مع الخوف من الشرك ، والاستهداء بالله سبحانه وتعالى والاستعانة به ، فلا يكون نظره عقليا مجردا ، فيقول : أين عقول هؤلاء ؟ هؤلاء سفهاء لا عقل لهم ، ويغيب عنه توفيق الله وهداية الله ، فإن أولئك كان منهم من له عقل ، ولكنه لم يُوفَّق ؛ لأنه لم يسلك المسلك الذي أرشد الله إليه ورسوله ، وكما قال شيخ الإسلام : " أُوتوا ذكاءً ، وما أوتوا زكاءً "[٣٣] ،

لو شاء ربك كنتَ أيضا مثلهم فالقلب بين أصابع الرحمن[٣٤]

قوله : [وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون]

وقوله أيضاً : إذا عرفتَ أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه أي كالاستهزاء بالدين ، فإن الاستهزاء بالدين كلمة تُخرج من اللسان ويكفر بها المتكلم ، كما قال تعالى :﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم**

---

٣١ – يونس : [٤٨] .

٣٢ – إبراهيم : [٣٥] .

٣٣ – مجموع الفتاوى (١١٩/٥) ونصه كاملاً :" أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء وأعطوا فهوما وما أعطوا علوما ، وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون .اهـ

٣٤ – الكافية الشافية لابن القيم الجوزية . رقم : [٢٥٥]ص٤٧ . طبعة دار ابن خزيمة .

تستهزؤون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ ، فإن الكفر يكون بالاعتقاد ، ويكون بالشك ، ويكون بالقول ، ويكون بالفعل ، فكلمة اللسان قد تكون كفرا ، وقد يقولها وهو جاهل ، والجهل قد يكون عذراً في مسائل ، وفي مسائل أخرى لا يكون عذراً ، فإن كان الرجل قد فرَّط في السؤال والعلم مع تيسُّر الأسباب ، فإنه ليس بمعذور ، كما قال ابن القيم رحمه الله :

و ذووا العناد فأهل كفر ظاهر ... والجاهلون فإنهم نوعان[٣٥]

ثم ذكر النوع الأول من الجُهَّال ، قال :

متمكِّنون من الهُدى والعلم ... بالأسباب ذات اليسر والإمكان

لكن إلى أرض الجهالة أخلدوا ... واستسهلوا التقليد كالعميان[٣٦]

إلى أن قال :

فهم الأُلى لا شك في تفسيقهم ... والكفر فيه عندنا [٣٧]قولان

والوقف عندي فيهم لست الذي ... بالكفر أنعتهم ولا الإيمان [٣٨]

فهنا إذا تيسرت الأسباب ، فإن العبد لا يعذر ، فلو أن رجلا قال : الزنا حلال ، وهذه كلمة قالها بلسانه ، فهل يعذر بذلك وهو في بلاد إسلامية ؟ الجواب : لا يُعذر .

لكن إن كان ناشئاً في بادية أو كان حديث عهد بإسلام ، فإنه يُعذر ، فلا يُكفَّر حتى يُعرَّف . إذاً إنما يُعذر بالجهل عند أهل العلم في المسائل التي يُعذر فيها بالجهل إن كان مثله يجهلها ، وأما إذا كان الرجل في البلدان الإسلامية التي فيها القرآن يُتلى وفيها العلماء ، وفيها الكتب ، فإنه لا يُعذر بجهله.

قوله : [خصوصاً إنْ ألهمك الله تعالى ما قصَّ عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين ﴿ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾[٣٩]]

وكما في قصة ذات أنواط أيضا ، فقد أخرج الترمذي وغيره أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا حدثاء عهد بإسلام ، من حديث أبي واقد : " يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات

---

٣٥ – المصدر السابق . رقم : [٤٣٨٧] ص٣١٤ .

٣٦ – المصدر السابق . رقم : [٤٣٨٩،٤٣٩١] ص٣١٤ .

٣٧ – أي عند اهل السنة والجماعة .

٣٨ – المصدر السابق . رقم : [٤٣٩١،٤٢٩٢] ص٣١٤.

٣٩ – الأعراف : [١٣٨] .

أنواط ، فقال النبي ﷺ : سبحان الله هذا كما قال قوم موسى " **اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة لتركبن سنة من كان قبلكم)** " ٤٠.

" كل من دعى إلى التوحيد جعل له أعداء "

قوله : [فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا وأمثاله ، واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً ، كما قال الله تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾[٤١]]

فكل نبي من الأنبياء ، له أعداء ، وكان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم النصيب الأكبر من ذلك ، فله أعداء كثيرون من قريش واليهود وغيرهم ، كأبي جهل وغيره ، وكذلك أتباعهم لهم أعداء ، كما قال تعالى :

﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾ ،[٤٢] فهذه الآية فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولأتباعه من الدعاة ، فالله سبحانه يُسلِّي نبيه عليه الصلاة والسلام بأن للأنبياء قبله أعداء ، وأن كل نبي له أعداء ، وكذلك أتباع الرسل ، فإن لهم من ذلك نصيبا ، وفي قوله تعالى :

﴿ وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾ أي كفى بالله هاديا يهدي هؤلاء الدعاة إلى الحق ، ويبصُّرهم ، ويُنير عقولهم، ويوضح لهم الأدلة والبراهين ، فيهديهم إلى الحق وينصرهم تعالى على أعدائهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين : (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**)[٤٣] ، فلابد إذاً من أعداء لمن يسير على طريق الرسل في الدعوة ، لكن الله عز وجل يهدي هؤلاء الدعاة إلى الحق ، ويكون ناصرا لهم سبحانه وتعالى ، ولذا تجد في كلام أهل العلم الذين جاهدوا أهل الدعوات الباطلة من الحجج والبراهين ما لا تجده في كلام غيرهم ، فإذا قرأت كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فإنك تجد في مصنفاته في الرد على أهل الكلام وغيرهم من الحجج والبراهين ما لا تجده عند غيره ، وتجد أيضا في كلام شيخ الإسلام محمد ، وفي كلام ذريته من أهل العلم وتلاميذه في الرد على أهل الشبه في باب التوحيد ما لا تجده في كثير من المصنفات ، وذلك لأن الله عز

---

٤٠ – رواه الترمذي في كتاب الفتن باب : ماجاء لتركبنّ سنن من كان قبلكم . رقم [٢١٨٠] وقال : هذا حديث حسن صحيح من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه .

٤١ – الأنعام : [١١٢] .

٤٢ -الفرقان : [٣١] .

٤٣ – رواه البخاري في كتاب الاعتصام باب : قول النبي ﷺ : (لا تزال طائفة من امتي ..) من حديث المغيرة بن شعبة [٦٧٦٧]. ومسلم في الإيمان باب : نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا من حديث أبي الزبير عن جابر [٢٢٥] لفظ مسلم برقم [١٢٩] من حديث ثوبان كتاب الإمارة باب قوله ﷺ لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق .

وجل يهديهم إلى الحق ، ويزيدهم حججاً وبيانات ، كما قال تعالى : ﴿ **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا** ﴾[٤٤] ، ﴿ **لا يأتونك بمثل** ﴾ أي لا يأتونك بشبهة تسير في الناس كسير المثل ، فالمثل يتناقله الناس ، وهذه الشبهة يتناقلها الناس ، فلا يأتونك بشبهة يعارضون بها الحق المنزَّل ، إلا جئناك بالحق الذي لا يُرد ، ﴿ **وأحسن تفسيرا** ﴾ أي أحسن إيضاحا وبيانا ، ولذا قال بعض أهل العلم : " لا يأتي مُبطِل بشبهة إلا وفي القرآن ردٌّ على دعواه" وشاهده الآية الكريمة التي ذكرها الشيخ هنا ، وهي أن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أعداء ، وأعداؤه هم أعظم أعداء هذه الأمة ، وكان الشيطان يوحي إليهم من الوحي الشيطاني ما يردون به تلك الدعوة ، فكانت الشبه أعظم ، فما يأتي به المبطلون بعدُ ، فإنه لا يكاد يتجاوز تلك الشبهات التي كان يثيرها أولئك في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي أجاب الله عنها في كتابه وقال تعالى ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا** ﴾[٤٥] قوله شياطين : من شطُن إذا بعُد عن الحق وتمرَّد على الحق وعلى أهله . يوحي بعضهم إلى بعض هذه الشبه يوحيها بعض الشياطين إلى بعض ، والإيحاء هو الإعلام بخفاء ، فشياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس هذه الشبه ، فيُلقون في روُع هؤلاء المضلِّين المبتدعين هذه الشبه التي يخالفون بها الشرع المنزَّل ، فما يقوله هؤلاء الضالون من الشبه إنما هو من وحي الشيطان .

﴿ **يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا**﴾ الزخرف هو الشيء الحسن الذي له رونق ، ومنه سمِّي الذهب زُخْرفا لحسنه ورونقه ، فهؤلاء يزيِّنون كلامهم ويجمِّلونه ليضلِّلوا الناس ، كما قال بعضهم :

في زخرف القول تزيين لباطله — والحق قد يعتريه سوء تعبير

وفي ذلك حِكمٌ عظيمة ، من أهمها : وضوح الحق ، فإن الحق يتضح إذا كثُر أعداؤه ، لأن أهله يجتهدون في الدعوة إليه وفي إيضاحه وبيانه وفي ذكر البراهين عليه ، فيكون في غاية الوضوح وغاية البيان .

قوله : [وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى : ﴿ فلما جاءهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾[٤٦]]

هنا ينبِّه الإمام رحمه الله تعالى طالبَ العلم بهذا الكلام ليتأهب لأعداء التوحيد ، فليأخذ أُهْبَتَهُ ، وليستعدَّ لهم بالحجج البيِّنة ، والبراهين الواضحة ، ولا يكون موقفه موقف الذي لا يبالي ولا يستعد ، ولذا فإن النبي

---

[٤٤] – الفرقان : [٣٣] .
[٤٥] – الأنعام : [١١٢] .
[٤٦] – غافر : [٣٨] .

صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ : (**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله**)[٤٧] ، فإن لأعداء التوحيد علوماً كثيرةً ، ولهم كتب ولهم حجج ، كما قال تعالى : ﴿ **فلما جاءَهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم** ﴾ ، فعندهم باطل علم يعارضون به علم الرسل ، من الأخبار والشبه ما يظنونها علما ويناقضون بها ما جاءت به الرسل ، فالخرافيون القبوريون كذلك ، فإنك تجد أحدهم عنده معرفة بعلم الإسناد وأحوال الرجال ، وقد يكون عنده معرفة بفنون اللغة ، وقد يكون عنده كذلك معرفة بالفقه ، وقد يكون له فصاحة وبلاغة فلابد من الاستعداد لهم ، ولابد من معرفة شبه القوم ، ليرد عليهم بعلم وبصيرة ، وليتيقن أن الحق غالب ، فإن الله يقول : ﴿ **وإنّ جندنا لهم الغالبون**﴾ ، فجند الله من المجاهدين في سبيله بالسيف والبيان والعلم هم الغالبون ، وقد تكون الغلبة لأهل البيان فقط ، ولا يخلو أهل البيان والعلم في كل عصر من الغلبة والظهور ، فلهم الغلبة ، وأما بالسيف فذلك دُول بين الناس ، فالأيام دُول بين الناس ، وأما بالعلم والبيان فلا يزال أهل السنة والجماعة هم الغالبون بالحجة والبرهان ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام:(**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة**) [٤٨]وأعظم الحق توحيد الله، ومعرفته بأسمائه وصفاته ، فلا تزال طائفة من علماء هذه الأمة هم الغالبين على أهل الباطل بالحجج والبراهين ، لا يزال هذا ولله الحمد في كل زمن من الأزمان قال صلى الله عليه وسلم : (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**) متفق عليه [٤٩] .

" وجوب التسلح بالعلم لرفع الشبه "

قوله : [إذا عرفت ذلك ، وعرفت أن الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج ، فواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل : ﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾[٥٠] ، ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حججه وبيناته ، فلا تخف ولا تحزن ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾]

---

[٤٧] – سبق تخريجه ( ) .
[٤٨] – وتقدم تخريجه .
[٤٩] – سبق تخريجه ص : ( ) .
[٥٠]– الأعراف : [١٦-١٧] .

قال تعالى : ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾[٥١] ، وهؤلاء القبوريون الذين يعادون التوحيد وأهله إنما كيدهم من كيد الشيطان ، وإن كيد الشيطان كان ضعيفا ولذا قال تعالى : { **فقاتلوا أولياء الشيطان** } وهؤلاء وهم أولياؤه ، ولذا تقدم قول الله تعالى : **﴿ شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾** [٥٢]، فهؤلاء ليس عندهم إلا ما عند الشيطان من الكيد ، وليس عندهم إلا ما يوحي به الشيطان إليهم من الشبه ، فلا تخف ولا تحزن ، ولكن احرص على معرفة الحق بدليله ، واعرف ما هي شبه هؤلاء وكيف ترد عليهم .

قوله : [والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين ، كما قال تعالى :
﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾[٥٣] **]**

فالعامي الواحد يغلب ألفا من علماء هؤلاء المشركين ؛ لأن العامي يستدل بالمحكم من الكتاب أي بالآيات المحكمات ، فإذا أوردت عليه الشبه ، وكان لا يحسن الجواب ، فإنه يقول : لا أدري ، ولكن المحكم من كتاب الله البيِّن هو كذا وكذا ، ومن ذلك ما وقع من بعض الموحِّدين العامة مع بعض المشركين ، فإنه المبطل استدل على عبادة الصالحين بقوله تعالى : **﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾** فقال له العامي : إنه قال **﴿ يُرزقون ﴾** ، ولم يقل **﴿ يَرزقون ﴾** ، فهنا العامي هداه الله تعالى إلى الحق ، وقال **﴿ يُرزقون ﴾** فكيف نسأله الرزق فهم عبيد لله يرزقهم الله ، فكيف تسألهم الرزق .

قوله : [فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم هم الغالبون بالسيف والسنان ، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد منَّ الله علينا بكتابه الذي جعله ﴿ تبيانا لكل شيء وهدىً ورحمة وبشرى للمسلين ﴾ [٥٤] **]**

فهذا الكتاب تبيان لكل شيء ، ففيه بيان كل شيء ، إما تفصيلا ، كباب التوحيد ، فإن الله قد فصَّله وبيَّنه وأوضحه في كتابه أعظم بيان وأوضحه ، وإما إجمالا ، كدلالة الكتاب على حُجية السنة وحجية الإجماع ، وللأسف فإن كثيرا ممن يشتغل بالعلم لا يعتني بتفسير القرآن ، ولا يعتني بفهم معانيه ، وهذا خطأ كبير ، فالواجب هو الاهتداء بكتاب الله ، وبسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

---

٥١ – النساء : [٧٦].
٥٢ – الأنعام : [١١٢] .
٥٣ – الصافات : [١٧٣] .
٥٤ – النحل : [٨٩] .

قوله : [فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها ، كما قال تعالى : ﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾ [55]]

تقدم تفسير هذه الآية ، أي لا يأتونك بشبهة تسير في الناس كما يسير المثل إلا جئناك بالحق الذي لا محيد عنه وأحسن تفسيرا ، يعني أوضح بيانا ، ولذا قال المؤلف هنا رحمه الله : فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها ، وذلك لأن المشبِّهين المبطلين كانوا في عصر النبوة أحرص منهم بعد عصر النبوة ، لأن أعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا أشد – فأعداء الرسل – هم أشد الأعداء ، فلا تجد عند المتأخرين إلا شُبَه الأولين التي ذكرها الله عز وجل في كتابه.

" الجواب على اهل الباطل بطريقتين "

قوله [قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة . وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جوابا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا ، فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين مجمل ومفصَّل]

المجمل هنا الذي يقابل المفصَّل ، وليس الذي يقابل المبيَّن ، فليس المجمل هنا هو المبهم ، فعندنا مجمل يقابل المبين ، و عندنا مجمل يقابل المفصَّل ، فالمجمل هنا هو الذي يقابل المفصَّل ، يعني الدليل الكلي ، فعندنا أدلة كلية ، وعندنا أدلة جزئية .

" الطريق الأول : المجمل "

قوله : [أما المجمل فهو الأمر العظيم ، والفائدة الكبيرة لمن عقلها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأوليه ﴾ [56]]

فالقرآن منه آيات محكمات هن أصل الكتاب ، وأخر متشابهات . الآيات المحكمات هن الآيات البيِّنات الواضحات ، وأما الآيات المتشابهات ، فهي الآيات التي تحتمل أكثر من معنى فالأدلة المحكمة تبين المراد منها كقوله تعالى : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ فإذا استدل مبطل بأن دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت خاصة لقومه ، فيستدل عليه بالآيات المحكمات الدالة على عموم رسالته ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة**

[55] – الفرقان : [٣٣] .
[56] – آل عمران : [٧] .

للعالمين ﴾[٥٧] **﴿ كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾**[٥٨] ، إلى غير ذلك من الآيات المحكمات في هذا الباب وقوله تعالى : **﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾**[٥٩] من الآيات المتشابهة ، وإذا أرجعناها إلى الآيات المحكمة اتضح لنا المراد منها . وآيات محكمات هن أم الكتاب ، وأم الكتاب يعني أصل الكتاب ، وهذا من وجهين :

الوجه الأول : أنهن الأصل الذي يُرجع إليه في معرفة الآيات المتشابهة ، لأنا نرجع في فهم الآيات المتشابهات إليها ، وعلى ذلك فيكون زوال التشابه في القرآن نفسه .

والوجه الثاني : أنهنَّ أغلب الآيات وعامة الآيات ، فعامة آي القرآن من الآيات المحكمات ، وأما الآيات المتشابهات فهي قليلة العدد ، وهذا كما يُقال : جزيرة العرب أصل العرب ، أو : جزيرة العرب أم العرب ، ماذا يراد بذلك ؟ يراد أن القبائل التي خارج جزيرة العرب ترجع إلى جزيرة العرب ، فالقبائل التي هي خارج هذه الجزيرة أصلهم ترجع إلى هذه الجزيرة ، وكذلك عامة وأكثر العرب في هذه الجزيرة . فأمُّ الشيء ، هو الأصل الذي يُرجع إليه وأيضا هو عامة الشيء وأكثره وأغلبه . فإذاً الآيات المحكمات هنَّ أصل الكتاب ، فيُرجع إلى هذه الآيات المحكمات في معرفة الآيات المتشابهات ، قال تعالى : **﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ﴾**[٦٠] فهؤلاء في قلوبهم زيغ وانحراف ، فلم يأتوا إلى القرآن مهتدين به ، وإنما أتو إليه ليحرِّفوه وليجعلوه موافقاً لما في قلوبهم من الزيغ ، ولما هم عليه من الضلال والانحراف ، قال تعالى **﴿ ابتغاء الفتنة ﴾** الفتنة هي اللبس في الدِّين ، وأعظم الفتنة الشرك ، **﴿ ابتغاء الفتنة ﴾** أي طلب اللبس في الدين ، أي ليلبسوا على الناس دينهم والعياذ بالله ، و **﴿ وابتغاء تأويله ﴾** أي ابتغاء تحريفه ليوافق أهواءهم ومعتقداتهم الباطلة.

قوله : [وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم)]

وهذا الحديث متفق عليه [٦١] ، ويدخل في هذه الآية كل مبتدع **﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ ﴾** كما قال ابن جريررحمه الله[٦٢] : فكل مبتدع متبعٌ للمتشابه ، وليس هناك مبتدع يخرج عن ذلك .

---

٥٧ – الأنبياء : [١٠٧] .

٥٨ – سبأ : [٢٨] .

٥٩ – الشعراء : [٢١٤] .

٦٠ – آل عمران : [٧] .

٦١ – أخرجه البخاري في كتاب التفسير . باب : (منه آيات محكمات) رقم [٤٥٤٧] . ومسلم في كتاب العلم . باب : النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه . رقم [٢٦٦٥] عن عائشة رضي الله عنها .

٦٢ – تفسير ابن جرير الطبري [١٨١/٣] .

" الشبه الأولى للمشركين التشبث بالمتشابه "

قوله : [مثال ذلك إذا قال بعض المشركين ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[٦٣] وأن الشفاعة حق ، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاماً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يستدل به على شيء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره]

فهذا القبوري يتكلم معك بشبه أنت لا تفهمها ، فالعامي لا يفهم ماذا يقول ، يقول له : إن الله يقول **﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾** ، ويستدل بآيات متشابهة على عبادة الصالحين ، وأنت لا تفهم معنى كلامه ، فبماذا تجيبه ؟

" الجواب المجمل عن الشبهه "

قال الشيخ رحمه الله :

[فجاوبه بقولك : إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية ، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾[٦٤] ، هذا أمر محكم بيِّن لا يقدر أحد أن يغير معناه] فأجابه هذا العامي بما هو من محكم الكتاب وهو قوله تعالى : **﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾** .

قوله : [وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا أعرف معناه ، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يخالف كلام الله عز وجل]

[وهذا جواب جيد سديد ، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى ، فلا تستهن به ، فإنه كما قال تعالى : ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ [٦٥]]

يعني يقول له : هذه آيات محكمات ، وأنا لا أدري ماذا تقول ، جادل أهل العلم ، ولكني أقطع أن كلام الله تعالى لا يناقض بعضه بعضا ، وأقطع أن كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يخالف القرآن ، فكل عامي يدرك أن الصلاة فرض ، فلو أن مبطلا أخذ يذكر له بعض الأدلة بأن الصلاة ليست بفرض ، فماذا يقول له العامي ؟ يقول : الذي أعلمه من الكتاب هو وجوب الصلاة ، وأن الصلاة هي الركن الثاني من

٦٣ – يونس : [٦٢].
٦٤ – يونس : [١٨].
٦٥ – فصلت : [٣٥].

أركان الإسلام ، ولا أدري ماتقول ، وأنا أقطع أنك تستدل بالمتشابه ، لأن القرآن لا يخالف بعضه بعضا ، ولأن السنة لا تخالف القرآن .

" الطريق الثاني المفصل "

قوله : [وأما الجواب المفصل فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل ، يصدون بها الناس عنه]

" دعواهم أن ما يفعلونه ليس بشرك "

منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلا عن عبد القادر أوغيره ، ولكن أنا مذنب ، والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله بهم]

" الجواب عن الشبهة "

[فجاوبه بما تقدم ، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقرون بما ذكرت لي (أيها المبطل) ، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئا ، وإنما أرادوا منهم الجاه والشفاعة ، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه]

فهذه هي الشبهة الثانية التي يستدل بها المبطلون ، إنا لا نعتقد أن هؤلاء ينفعون أو يضرون ، بل الذي يضر وينفع هو الله ، فيجاب بما تقدم من : أن المشركين الذين بُعث إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يعتقدون أن تلك الآلهة لا تضر ولا تنفع ، ولا تخلق ولا ترزق ، ولا تحيي ولا تميت ، ومع ذلك ، فهم كفارٌ ، فإقراراهم بالربوبية لم يدخلوا به في الإسلام ، حتى يقروا بتوحيد العبادة قال تعالى : **﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر ، ليقولن الله ﴾** [٦٦] .

" الشبهة الثالثة "

قوله : [فإن قال : هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ، كيف تجعلون الصالحين من الأصنام أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً]

[٦٦] – العنكبوت : [٦١].

هذه هي الشبهة الثالثة ، فإن المبطل يقول : إن المشركين الذين بعث إليهم النبي عليه الصلاة والسلام كانوا يعبدون الأصنام ، فكيف تقيسون عبادة الأولياء والأنبياء والصالحين على عبادة الأصنام والأحجار والأشجار .

" الجواب عن الشبهة "

قوله : [فجوابه بما تقدم فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله ، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ، ولكن أراد أن يفرِّق بين فعلهم وفعله بما ذكر ، فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ [٦٧]]

إذاً تحتج عليه بالآيات التي فيها أن المشركين كانوا يعبدون الصالحين والأولياء ، والأنبياء والملائكة ، ومن ذلك قوله تعالى : **﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾** ، وفي البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال في هذه الآية : **نزلت في أناس من الجن [٦٨] كانوا يُعبدون فأسلموا** " فهؤلاء الجن كانوا يُعبدون من دون الله فأسلموا ، وأصبحوا من أولياء الله سبحانه وتعالى ، وبقى الإنس يعبدونهم من دون الله عز وجل ، فهذه الآية في عبادة الصالحين . **﴿ أولئك الذين يدعون ﴾** (**أولئك**) إشارة إلى المعبودين أي أولئك المعبودون . (**يدعون**) الواو هنا راجعة إلى العابدين ، أي أولئك المعبودون الذين يدعونهم هؤلاء المشركون من دون الله يدعون الله جل وعلا ، كما قرأ ابن مسعود

﴿ أولئك الذين تدعون ﴾ أي الله وحده لا شريك له ، أيها المشركون . **﴿ يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾** يعني التقرب إلى الله تعالى بعبادته وحده لا شريك له ، وإخلاص الدين له ، فهؤلاء المشركون يعبدون من هو مخلِص لله عز وجل بالعبادة ، يرجو رحمته ويخاف عذابه ، وهكذا من يعبد الأولياء الذين هم أولياء ، كالذي يعبد الحُسين أو غيره من أولياء الله الصالحين الذين نعلم من الأدلة أو فيما نحسب أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة ويرجون رحمته ويخافون عذابه فهذه الآية في عبادة الصالحين ، وتقدم لكم أيضا أن اللات الذي كانت تعبده قريش رجل صالح كان يلت السويق ، فلما مات عكفوا على قبره ، وعبدوه من دون الله سبحانه وتعالى .

---

٦٧ – الإسراء : [٥٧].

٦٨ – متفق عليه : البخاري :برقم [٤٤٣٨] كتاب التفسير باب أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة مسلم برقم : [٣٠٣٠] كتاب التفسير باب في قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

قوله : [ويدعون عيسى ابن مريم وأمه وقد قال الله تعالى : ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة ، كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنى يؤفكـــون ، قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم ﴾ [٦٩]واذكر قوله تعـــالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ، قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ [٧٠]وقوله تعالى ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنـــت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحـــق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴾[٧١]]

فالآية الأولى في عبادة الأنبياء ، **﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنى يؤفكون ، قل أتعبدون من دون الله ﴾** ، فسمى سبحانه ما يفعله النصارى لعيسى عليه الصلاة والسلام عبادة ، **فقال ﴿ قل أتعبدون من دون الله ﴾** . وقوله تعالى : **﴿ ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴾** وهذه الآيـــة في عبادة الملائكة ، والآية الأخرى في عبادة الأنبياء والأولياء **﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلـــت للناس اتخذوني وأمي إلهين ﴾** .

قوله : [فقل له : أعرفت أن الله كفَّر من قصد الأصنام ، وكفّر أيضا من قصد الصـــالحين وقاتلـــهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟]

فصرْف العبادة إلى غير الله شركٌ ، وهو الظلم العظيم ، سواء صرفت إلى نبي أو صالح أو ملك أو شجر أو حجر أو غير ذلك ؛ لأن إفراد الله بالعبادة هو خالص حق الله تعالى ، فهو محض حق سبحانه ، فإذا صرفت العبادة إلى غيره ، فهذا هو الشرك الأكبر .

" الشبهة الرابعة : في طلب الشفاعة "

قوله : **[فإن قال : الكفار يريدون منهم وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريـــد إلا منـــه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم]**

---

[٦٩] – المائدة : [٥٧-٥٨].
[٧٠] – سبأ : [٤٠-٤١] .
[٧١] – المائدة : [١١٦] .

هذه هي الشبهة الرابعة ، وهذه الشبهة هي التي عليها اعتماد المشركين قديما وحديثا ، كما قال ابن كثير رحمه الله ، فهذه الشبهة وهي اتخاذ الوسطاء والشفعاء هي شبهة المشركين التي اعتمدوا عليها قديما وحديثا ، فبعث الله رسله لإبطالها والنهي عنها . فيقول المبطلون : نحن إنما اتخذناهم وسائط وشفعاء ، لأن هؤلاء الصالحين جاهاً عند الله ، ولهم منزلة عند الله لا نعتقد أنهم ينفعون أو يضرون ، ولا نريد منهم النفع ، لأنهم لا يملكونه ،إنما هم شفعاؤنا عند الله سبحانه وتعالى ، فنحن ندعوهم ليعطينا الله ، ولينصرنا وليرزقنا .

" الجواب عن الشبهة "

قوله : [فالجواب : أن هذا قول الكفار سواء بسواء ، فاقرأ عليه قوله تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [٧٢]]

قال مجاهد كما في تفسير ابن جرير : قالته قريش لأوثانها ، وقاله من قبلهم للملائكة وعيسى وعُزَيْر **﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾** " فهي شبهة المشركين قديما وحديثا . وقوله :

﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ أي ما نعبدهم لشيء – وهذا هو الاستثناء المفرَّغ – إلا أنهم شفعاء لنا ، فنحن لا نعبدهم لاعتقاد نفع ولا ضر ولا أنهم يرزقون ولا أنهم يحيون أو يميتون ، ما نعبدهم لشيء إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، فما نعبدهم لشيء إلا لإرادة الشفاعة والوساطة .

فهؤلاء المشركون ينفون أن يكونوا قد قصدوا بعبادة الأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله شيئا سوى الشفاعة ، فيقولون : نحن لا نريد منهم شيئا ، فالله هو النافع الضار ، لكن هم شفعاؤنا عند الله سبحانه وتعالى . قوله زلفى مصدر مؤكِّد من غير الفعل ، والمعنى : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله تقريبا ، فالزلفى هي القُربى ، **﴿ فالله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾** فجعل الله سبحانه وتعالى قولهم كذبا وكفرا ، كذبا ؛ لأنهم أثبتوا الشفاعة ، ونسبوها إلى الله سبحانه وتعالى ، وهذا كذب على الله وتقوُّل على الله بلا علم ، وهذا أيضا كفر ، بل مبالغة في الكفر ، ولذا قال **﴿ إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ ﴿ كَّفار ﴾** ، فهذا كذبٌ وكفرٌ عظيم .

قوله : [وقوله ﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ﴾ [٧٣]]

---

٧٢ – الزمر : [٣] .

٧٣ – يونس :[١٨].

وما لا يعلمه الله ، فليس بكائن ، كما يقال لمن يفتي بغير علم : أتفتي بما لا يعلمه العلماء ، فالله عز وجل لا يعلم أنهم شفعاء عنده ، لأنه ليس بكائن ، ثم قال :

﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ، فدل هذا على أن اتخاذ الوسطاء شركٌ أكبر بالله سبحانه وتعالى ، ولذا أجمع أهل العلم كما تقدم على أن من اتخذ بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة و يتوكل عليهم فهو كافر والعياذ بالله .

" الشبهة الخامسة : أن دعاء الصالحين ليس عبادة "

قوله : [واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم ، فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه ، وفهمتها فهماً جيداً فما بعدها أيسر منها ، فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله ، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاءهم ليس بعبادة]

يقول هؤلاء الجهال : إن ما نفعله ليس بعبادة ، هذه الاستغاثة بغير الله ، وهذا الدعاء ، وهذا الذبح ، وهذا النذر لغير الله ، ليس بعبادة ، فهم ينفون أن يكون ما هم عليه عبادة لغير الله سبحانه وتعالى ، فتأتي إلى الرجل عند ضريح ولي أو من يعتقد أنه ولي وهو يعبده من دون الله يذبح له وينحر له ، ويطوف حول قبره ، ويدعوه ويستغيث به ثم يقول : هذه ليست عبادة ، أنا لا أعبد إلا الله ، فما هو الجواب ؟ ، قال الشيخ :

" الجواب عن الشبهة "

[فقل له : أنت تقر أن الله افترض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك ؟ فإذا قال : نعم]

ولا بد أن يقول نعم ، فإن قال : لا ، فيكون مكذِّباً لما جاء في الكتاب والسنة ، وهذا مكابرة ، فلا يمكن أن يقول من ينسب نفسه إلى الإسلام : إن الله لم يأمر بأن نعبده وأن نخلص له العبادة ، قال تعالى : **﴿ واعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾** وقال : **﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾** ، وقال عليه الصلاة والسلام : (**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا**)[٧٤] ، فلابد أن يقر .

ثم قال الشيخ :

[فقل له : بيِّن لي هذا الذي فرضه الله عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده وهو حقه عليك ، فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها]

فقل له أنت الآن تقر أن الله قد فرض عليك أن تعبده وحده لا شريك له ، وأن تخلص له العبادة ، فيقول : نعم ،فقل له : بيِّن لي هذه العبادة .

٧٤ – متفق عليه . رواه البخاري في كتاب التوحيد – باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ إلى التوحيد برقم [٦٩٣٨] من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه .

فإن الذي لا يعرف العبادة ولا يفرق أنواعها لا يمكن أن يحكم على نفسه بأنه ليس بمشرك وأنه يعبد الله لا يشرك به ، والعبادة : ما أمر الله عز وجل به شرعا من الواجبات والمستحبات ، فهي : اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

قوله : [فبينها له بقولك : قال الله تعالى :﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ﴾ [٧٥] فإذا أعلمته بهذا ، فقل له : هل علمت أن هذا عبادة لله تعالى ؟]

أي الدعاء قال تعالى : **﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾** ، فتذكر له أدلة دالة على أن الدعاء نوع من أنواع العبادة، ومن ذلك ما رواه الترمذي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (**الدعاء هو العبادة**) ، وقال تعالى : **﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾** [٧٦]، فقال : **﴿ وقال ربكم ادعوني ﴾** ثم قال **﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي ﴾** ، فسمى الله تعالى الدعاء عبادة . إذاً تعرّفه بالعبادة وتذكر له هذا النوع الذي هو أخص أنواع العبادات ، وهو الدعاء .

قوله : [فلابد أن يقول : نعم ، والدعاء مخ العبادة]

فالدعاء مخ العبادة كما ورد في الترمذي ، لكن الإسناد ضعيف [٧٧]، ومخ بمعنى : لب ، فمخ الشيء لبه وخالصه ، وعلى ذلك فهو بمعنى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : (**الدعاء هو العبادة**)[٧٨] .

قوله : [فقل له : إذا أقررت أنه عبادة لله ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفا وطمعا ، ثم دعوت في تلك الحاجة نبيا أو غيره ، هل أشركت في عبادة الله غيره ؟]

فقل له الآن عرفت أن الدعاء عبادة ، فإذا كنت تدعو الله ليلا ونهارا خوفا وطمعا ، وتسأله عز وجل ، وترفع إليه حاجتك ، فهل هذه عبادة ، فماذا يقول ؟ يقول : نعم ، هذا عبادة ، فقل له : فإذا صرفت ذلك إلى غيره ، فدعوت غيره ، ورفعت إليه حاجتك ، وسألته ، أفلا تكون قد أشركت مع الله في العبادة ؟ فلابد أن يقول نعم ، لأنك قد سميت دعاء الله عبادة ، فما تصرفه إلى غير الله منه عبادة أيضاً .

---

[٧٥] – الأعراف : [٥٥] .

[٧٦] – غافر : [٦٠].

[٧٧] – سنن الترمذي [٣٢٩٣] كتاب : الدعوات . باب . فضل الدعاء برقم [٣٢٩٣] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه – ضعيف فيه ابن الهيعه.

[٧٨] – واحمد في مسنده برقم [١٨٣٨٦] سنن ابي داود كتاب الوتر – باب : الدعاء برقم [١٤٨١] والترمذي في كتاب الدعوات باب فضل الدعاء برقم [٣٢٩٤] وبرقم [٢٨٩٥و٣١٧٠] وابن ماجه كتاب الدعاء . باب فضل الدعاء برقم [١٤٨١] . من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه .

قوله [فلابد أن يقول : نعم فقل له : قال الله تعالى : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾[٧٩]، فإذا أطعت الله ونحرت له ، هل هذه عبادة ؟ فلابد أن يقول : نعم ، فقل له : إذا نحرت لمخلوق ، نبي أو جني أو غيرهما ، هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلابد أن يقر ويقول : نعم ، وقل له أيضا : المشركون الذين نزل فيهم القرآن ، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلابد أن يقول : نعم ، فقل له : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك ؟ وإلا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهره ، وأن الله هو الذي يدبر الأمر ، ولكن دعوهم والتجؤوا إليهم للجاه والشفاعة ، وهذا ظاهر جداً]

ومن شبه المبطلين في هذا الباب استلالهم بقول الله تعالى ﴿ **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم** ﴾ ، قالوا : إن المشركين الذين بعث إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كانوا مقرين بتوحيد الربوبية لما سبوا الله عز وجل ، ولما نُهي النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون عن أن يسبوا آلهتهم خشية أن يسبوا الله سبحانه وتعالى ؟ فتركوا المحكم من الكتاب واستدلوا بالمتشابه .

الجواب : أن يقال ليس المراد بالآية أنهم يسبون الله مباشرة بل المراد بالآية أن يسبوا النبي عليه الصلاة والسلام ويسبوا من أمره ، فيرجع ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ، ولذا قال المشركون للنبي عليه الصلاة والسلام، كما قال السدي[٨٠] : لتنتهين عن شتم آلهتنا أو لنشتمنك ونشتم من أمرك " فما قالوا : ونشتم الله ، وإنما قالوا : ونشتم من أمرك ، ونظير هذا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في لعن من سب والديه ، قال **رسول الله ﷺ** : (**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يارسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه**) [٨١] ، وهذا سب بالتسبب ، ويدل على هذا أن الله تعالى قال في الآية الكريمة : ﴿ **عدواً بغير علم** ﴾ والسب المباشر لا يقال فيه : بلا علم ، وإنما يسبون من أمره ومن أوحى إليه وأنزل إليه القرآن ، وهذا راجع إلى الله سبحانه وتعالى .

الوجه الثاني : أن الله عز وجل ذكر في الآية بعدها ﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم** ﴾ ، جَهْد اليمين: هو أبلغ اليمين ، يعني : أبلغ اليمين وآكدها وأشدها عندهم الحلف بالله عز وجل ، فكان المشرك من كفار قريش

---

٧٩ – الكوثر : [٢].

٨٠ – الطبري ،جامع البيان : ١٢٧/٢٣

٨١ – أخرجه البخاري في الأدب باب : لا يسب الرجل والديه . رقم [٥٩٧٣] . ومسلم : كتاب الإيمان . باب : بيان الكبائر وأكبرها . رقم [٩٠] من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

إذا أراد أن يؤكد يمينه ، فإنه يحلف بالله عز وجل . فثبت بذلك أن هذه الآية حجة عليهم وأنهم مقرون بالربوبية .

ومما استدلوا به هؤلاء أيضا ، قول الله عز وجل : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾[٨٢] ، **قالوا : فهذا يدل أيضا على أنه لم يكونوا مقرين بالربوبية؟**

وهذه الآية حجة عليهم ، وشرح هذه الآية وتفسيرها أي : وجعلوا لله مما خلق من الحرث ، أي من الثمار والزروع ، والأنعام نصيبا ، أي حظا من أموالهم هذه ، فهؤلاء المشركون يأكلون قسماً من أموالهم من زروعهم وثمارهم ومن بهيمة الأنعام ويجعلون شيئا منه لله والصدقة على الفقراء واليتامى ، ويجعلون منه شيئا لسدنة الأوثان ، ويؤخذ منه ذبائح تذبح لهذه الأوثان ، فما كان لله عز وجل فهو يصل إلى شركائهم ، يعني ما جعلوه لله عز وجل يأخذون منه شيئا يذبحونه لأوثانهم ، ويقولون : إن الله غني ، وهذه الآلهة فقيرة . وأما الذي يكون لشركائهم فلا يصل إلى الله ، لأنهم يقولون : إن الله غني ، وهذه الآية إنما تدل على إقرارهم بالربوبية، وأنهم أيضا يعبدون الله عز وجل ، لكنهم يشركون مع الله غيره ، فكانوا يعبدون الله ، ويعبدون معه غيره.

" الشبهة السادسة : إنكار طلب الشفاعة إنكار لها : وجوابها "

قوله : [فإن قال : أتنكر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتبرأ منها ؟ فقل : لا أنكرها ولا أتبرأ منها ، بل هو صلى الله عليه وآله وسلم الشافِع المشفَّع ، وأرجو شفاعته ، لكن الشفاعة كلها لله ، كما قال تعالى : ﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾[٨٣]]

لقد تعلق المشركون قديما وحديثا بالشفاعة ، فقطع الله عز وجل طمعهم وأخبر سبحانه أن ذلك من الشرك ، وأنه ليس لهم من دون الله من ولي ولا شفيع ، قال تعالى : **﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ، ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ، أفلا تتذكرون ﴾**[٨٤]، وقال سبحانه : **﴿ واتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ، بل لله الشفاعة جميعا ﴾** فكان المشركون يعتقدون أن هناك وسائط بينهم وبين الله عز وجل ، وهم الشفعاء

---

٨٢ – الأنعام : [١٣٦] .

٨٣ – الزمر : [٤٤] .

٨٤ – السجدة : [٤] .

والوسائط ، وهؤلاء الشفعاء كالحُجَّاب بين الملك والرعية ، وهؤلاء الوسائط لا يملكون ضرا ولا نفعا ، ولكنهم بين الله وخلقه ، فيسألهم الناس الرزق والنصر ، ليرفعوا ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ، كما يوصل الحجاب سؤال الطالبين إلى الملك ، فإن الناس قد يتركون سؤال الملك أدبا لئلا يباشروه بمسألة ، فيجعلون واسطة بينهم وبينه ، وقد يعتقدون أن سؤال هذا الشافع لهم أنفع من سؤالهم هم له ، لأن هذا الشافع أقرب إلى الملك من هذا الطالب.

فشبَّه هؤلاء المشركون الخالق سبحانه بملوك الدنيا المحتاجين إلى هؤلاء الحجاب .

وهذا هو أصل شرك العالَم، قال تعالى : **﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾**، وقال : **﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾** [٨٥]. والاستشفاع يعني طلب الشفاعة واتخاذ الشفعاء من دون الله عز وجل والاستشفاع بالأموات فيه أنواع من العبادات :

- ففيه سؤال غير الله ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : (**الدعاء هو العبادة**) .
- وفيه إنزال الحوائج به دون الله عز وجل ، فيترل حوائجه بهذا الشافع دون الله عز وجل .
- وفيه أيضا تعلُّق القلب بهذا الشافع ، ورجاؤه والرغبة إليه والإقبال عليه .

ومن هنا يعلم أن الشرك لازم اتخاذ الشفعاء ، كما أن تنقص الرب لازم الشرك ، شاء المشرك أم أبى ، فالمشركون يقولون : نحن لا نتنقص الله ، لكن الشرك لازمه تنقص الله سبحانه ، وكذلك اتخاذ الشفعاء لازمه الشرك ، فإنه يترل حوائجه بهذا الشافع دون الله عز وجل ويسأله ويتعلق قلبه بهذا الشافع ، فيرجوه ويرغب إليه ويقبل عليه . ومن هنا يعلم أن الاستشفاع بالأموات شرك أكبر والعياذ بالله .

فالشفاعة مُلْك لله سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى : **﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾** [٨٦]، ومن ثم فإن الشفيع سواء كان محمداً عليه الصلاة والسلام الذي هو خير الخلق أو كان غيره ، لا يملك الشفاعة ، بل الذي يملكها هو الله سبحانه ، ولذا فإنه صلى الله عليه وآله وسلم — ولا غيره – أن يشفع إلا بعد إذن الله ورضاه عن المشفوع له ، ولا يأذن الله عز وجل بالشفاعة على الإطلاق ، فلا يقال له : اشفع لمن تشاء ، وإنما تكون هذه الشفاعة غير مطلقة ، بل هي مقيدة قال تعالى :**﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾** [٨٧]، فتكون مقيدة لأهل التوحيد ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام فيما ثبت في الصحيحين في شفاعته عليه الصلاة

[٨٥] – يونس : [١٨].
[٨٦] – الزمر : [٤٤] .
[٨٧] – الأنبياء : [٢٩].

والسلام : (**فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا**)[٨٨] ، ولّما سأله أبو هريرة رضي الله عنه كما في الصحيحين : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (**من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه**)[٨٩].

وقد نهى الله نبيه عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا معه أن يستغفروا لآبائهم وأقاربهم المشركين ، قال تعالى : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى** ﴾ ، فليس للنبي عليه الصلاة والسلام ولا غيره من الشفعاء أن يشفع إلا من بعد أن يأذن له مالك الشفاعة ، وهو الله سبحانه وتعالى وحده ومن بعد أن يرضى عن المشفوع له .

" شروط الشفاعة "

قوله : [ولا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل ، كما قال عز وجل : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [٩٠]، ولا يشفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه ، كما قال عز وجل : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [٩١]، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ [٩٢]، فإذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون إلا من بعد إذنه ولا يشفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، لا يأذن الله تعالى إلا لأهل التوحيد ، تبين لك أن الشفاعة كلها لله ، فأطلبها منه ، فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفعه فيّ ، وأمثال ذلك]

فالشفاعة ملك لله ، فانا أطلبها منه ، فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك عليه الصلاة والسلام ، ولذا فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يرشد أمته - وهو الذي لم يترك خيرا إلا أرشدهم إليه — إلى سؤاله الشفاعة ، لا حيا ولا ميتا ، وإنما ذكر لهم الأسباب التي ينالون بها شفاعته عليه الصلاة والسلام ، فقال كما تقدم لما سئل من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : (**من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه**)[٩٣] ، وقال عليه الصلاة والسلام كما في البخاري : (**من سمع النداء ، فقال : اللهم رب هذه الدعوة التامة**

---

٨٨ – أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب لكل نبي دعوة مستجابة : رقم : [٥٩٤٥] ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب: اختباء النبي دعوة الشفاعة لأمته رقم : [١٩٩] واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٨٩ – أخرجه البخاري في كتاب العلم باب الحرص على الحديث رقم : [٩٩] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

٩٠ – البقرة : [٢٥٥] .

٩١ – الأنبياء : [٢٨].

٩٢ – آل عمران : [١٦٥].

٩٣ – سبق تخريجه ص ( ) .

والصلاة والقائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته) فهو دعاء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالشفاعة ، قال : (**حلت له شفاعتي**)[٩٤] .

" الشبهة السابعة : أن الرسول أُعطي الشفاعة فتطلب منه : وجوابها "

قوله : [فإن قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أُعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله ، فالجواب : أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا ، فقال تعالى : ﴿ فلا تدعو مع الله أحدا ﴾[٩٥]]

وطلبك من الله شفاعة بنية عبادة والله نهاك أن تدعو مع الله غيره ، فقال : **﴿ فلا تدعو مع الله أحدا ﴾** .

قوله : [فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله : ﴿ فلا تدعو مع الله أحدا ﴾ ، وأيضا فإن الشفاعة أُعطيها غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فصح أن الملائكة يشفعون ، والأولياء يشفعون ، والأفراط – يعني الأطفال – يشفعون ، أتقول : إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم ، فإن قلت هذا ، رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه ، وإن قلت : لا ، بطل قولك : أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله]

فإذا قال : إن الله أعطى نبيه الشفاعة فأنا أسأله مما أعطاه الله ، فيقال له : إن الملائكة يشفعون ، وإن الأولياء يشفعون[٩٦] وإن الأطفال ونحوه ممن مات قبل البلوغ – قبل الحِنْث – يشفعون [٩٧]، أفتقول أيضا : إني أسألهم مما أعطاهم الله ، فأذهب إلى القبور وأقول : يا فلان اشفع لي عند الله ، وأقول لمن مات قبل البلوغ : اشفع لي عند الله عز وجل ، هذا لازمُهُ ، فإن التزم به ، فهذه هي عبادة الصالحين ، وإن لم يلتزم بذلك ، فهذا تناقض ؛ لأن الشفاعة قد أعطاها الله عز وجل نبيه ، وقد أعطى غيره أيضا هذه الشفاعة ، وإن كان له عليه الصلاة والسلام النصيب الأوفر من ذلك .

" الشبهة الثامنة : دعاء الصالحين ليس بشرك "

قوله : [فإن قال : أنا لا أشرك بالله شيئا ، حاشا وكلا ، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك]

فهذا ينفي عن نفسه الشرك ، ويقول : إن التجاءه إلى الأولياء والصالحين ورغَبَه ورجاءه وتوكله عليهم ودعاءه واستغاثته بهم ليس بشرك ، فيقال له :

٩٤ – أخرجه البخاري برقم [٥٨٩] كتاب الآذان . باب : الدعاء عند النداء . من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه .

٩٥ – الجن : [١٨].

٩٦ – كما ثبت ذلك في مسلم برقم [١٨٣] كتاب الإيمان – باب معرفة طريق الرؤيا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

٩٧ – كما ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: كتاب : البر والصلة والآداب . باب : فضل من يموت له ولد فيحتسبه (٢٠٢٩/٣) والنسائي في المجتبى كتاب الجنائز باب : من يتوفى له ثلاثة (٢٥/٤)

" الجواب عن الشبهة "

[فقل له:إذا كنت تُقرّ أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا،وتقر أن الله لا يغفره ، فما هذا الأمر الذي حرّمه الله ، وذكر أنه لا يغفره ، فإنه لا يدري ، فقل له:كيف تبرئ نفسك من الشرك، وأنت لا تعرفه أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه ؟]

إذا قال : أنا لست بمشرك ، والالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك ، فقل له : أنت تقر أن الله حرم الشرك ، فلابد أن يقول : أقر بذلك ؛ لأن الله يقول : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾، ويقول تعالى : ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة** ﴾ ، ويقول : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** ﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين لما سئل أي الذنب أعظم ؟ قال : (**أن تجعل الله ندا وهو خلقك**) [٩٨].

فقل له : ما هو الشرك ، فسِّره وعرِّفه لي ؟ فإنه يقول : لا أدري ، أو يفسِّره بأن معنى ذلك : أنه لا خالق ولا رازق ولا رب إلا الله ، فتجيبه بما تقدم . إذاً هو لا يدري ما هو الشرك ، فيقال له : كيف تبرئ نفسك من شيء لا تعرفه ، فلا يصح عقلا أن يبرئ الإنسان نفسه من شيء لا يدري ما معناه فقد يكون متصفا به وهو لا يدري فإنه لا يمكنه أن يبرئ نفسه من تهمة حتى يفهم المراد منها ثم يبرئ نفسه منها .

قوله : [أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا ؟]

أتظن أن الله سبحانه يحرم علينا الشيء ويذكر لنا أن الشرك أعظم الذنوب ، وأنه لا يغفر لصاحبه، ثم لا يبينه لنا ، وهو القائل : ﴿ **وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون** ﴾ [٩٩]،ووصف كتابه بانه تبياناً لكل شيءوأخبرنا نبيه عليه الصلاة والسلام الذي تركنا على المحجة البيضاء[١٠٠] ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ؟

" الشبهة التاسعة : أن الشرك عبادة الأصنام : وجوابها "

قوله : [فإن قال : الشرك عبادة الأصنام ، ونحن لا نعبد الأصنام ، فقل له ما معنى عبادة الأصنام ؟ أتظن أنهم كانوا يعتقدون أن تلك الأصنام الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن كما في قوله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض ﴾]

---

٩٨ – رواه البخاري برقم [٤٢٠٧] كتاب التفسير باب قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) . ومسلم كتاب الإيمان – باب كون الشرك أقبح الذنوب برقم [٨٦] من حديث عبدالله بن عمر رضي لله عنهما .

٩٩ – التوبة : [١١٥].

١٠٠ – أخرجه أحمد برقم [١٧١٤٢] وابن ماجه برقم [٤٣] كتاب السنة اتباع سنة الخلفاء الراشدين والحاكم برقم [١٧٦/١] . قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك . من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه .

يعني أتظن أن كفار قريش وغيرهم كانوا يعتقدون أن هذه الأحجار والأشجار تنفع وتضر وتخلق وترزق ، فإن قال : نعم ، فهذا يكذبه القرآن ، كما تقدم في آيات كثيرة **﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ﴾** .

قوله : [وإن قال : هو من قصد خشبة أو حجرة أو أبنية على قبر أو غيره ، يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون : إنه يقربنا إلى الله زلفى ويدفع الله عنا ببركته أو يعطينا ببركته ، فقل : صدقت ، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها ، فهذا قد أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام ، وهو المطلوب]

وهذا واضح .

قوله : [ويقال له أيضا قولك : الشرك عبادة الأصنام ، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا ، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك ؟ ، فهذا يرده ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين ، فلابد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحدا من الصالحين ، فهو الشرك المذكور في القرآن ، وهذا هو المطلوب]

فإن قال : إن هذا في الأحجار والأشجار ، وليس في الصالحين ، فيقال له : إن الله قد أخبرنا في كتابه أن النصارى قد عبدوا عيسى عليه السلام من دون الله ، وأن الملائكة قد عُبدوا من الله ، وكذلك الجن والصالحون ، فلا يخص هذا الأحجار والأشجار ، كما تقدم .

قوله : [وسر المسألة أنه إذا قال : أنا لا أشرك بالله ، فقل له : وما الشرك بالله ، فسِّره لي ؟ فإن قال : هو عبادة الأصنام ، فقل : وما معنى عبادة الأصنام ؟ فسرها لي ؟ فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله وحده ، فقل : وما معنى عبادة الله وحده ، فسرها لي ؟ فإن فسرها بما بينه القرآن، فهو المطلوب ، وإن لم يعرفه ، فكيف يدَّعي شيئا وهو لا يعرفه ؟]

تقدم شرح هذا ، وهو كما ذكر المؤلف سر المسألة ، فالقبوري إذا قال : أنا لا أشرك بالله ، فيقال له : ما الشرك بالله ؟ ، فإن قال : هو عبادة الأصنام ، فيقال : وما عبادة الأصنام ، فسرها لنا ؟ فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله ، فيقال : وما هي عبادة الله ، فسرها لنا ؟ فإن فسره بما سبق بيانه ، فهذا هو المطلوب ، وإلا فإنه لا يُعرِّف التوحيد ، ويقال له : كيف تنكر شيئا لا تعرفه ؟ وقد تقدم الكلام على هذا .

قوله : [وإن فسر ذلك بغير معناه ، بيَّنتَ له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان ، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي يُنكِرون علينا

ويصيحون منه ، كما صاح إخوانهم حيث قالوا : ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا ، إن هذا لشيء عجاب ﴾[١٠١]]

كما صاح به إخوانهم من المشركين ، فقالوا : **﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا ، إن هذا لشـــيء عجــاب ﴾**، فأنكروا على النبي عليه الصلاة والسلام أنه جعل الآلهة إلها واحدا ، فدعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وقالوا **﴿ أن امشوا ﴾** أي استمروا على ما أنتم عليه من اتخاذ آلهة من دون الله ،

﴿ واصبروا على آلهتكم ، إن هذا لشيء يراد ﴾ أي يراد به الاستعلاء والشرف ، وأن تكونــوا تبعــا للداعي إليه ، فيفسرون هذا بأن الداعي إلى التوحيد يريد العلو في الأرض ، ويريد الشرف ، وأنه يكونــوا تبعاً له .

" الشبهة العاشرة : في سبب كفر المشركين "

قوله : [فإن قال : إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء ، وإنما يكفرون لما قالوا : الملائكة بنات الله ، فإنا لم نقل : إن عبد القادر ابن الله ، ولا غيره ؟]

يعني إن قال هذا القبوري : إنهم إنما كفروا لاعتقادهم أن تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله ، هي ولد الله ، فالنصارى اعتقدوا أن المسيح ابن الله ، واليهود اعتقدوا أن العزير ابن الله ، وهؤلاء قد اعتقدوا أن الملائكة بنات الله ، فيقول المبطل : إنما كفروا لاعتقادهم أن هؤلاء المعبودون أولاد الله سبحانه ، وليس بدعاء غير الله .

" الجواب الأول عن الشبهة "

قوله : [فالجواب : أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل ، قال الله تعالى : ﴿ قــل هــو الله أحــد ، الله الصمد ﴾ ، والأحد الذي لا نظير له ، والصمد : المقصود في الحوائج ، فمن جحد هذا فقد كفر ، ولو لم يجحد آخر السورة . ثم قال تعالى : **﴿ لم يلد ولم يولد ﴾**[١٠٢] فمن جحد هذا فقد كفر ولو لم يجحد أول السورة .

فيستدل عليه بسورة الإخلاص ، فإن الله قال : **﴿ قل هو الله أحد ﴾** والأحد : هو الذي لا نــد لــه في ألوهيته وربوبيته واسمائه وصفاته ، **﴿ الله الصمد ﴾** ، والصمد : على زنة فَعَل ، بمعنى مفعول ، من صَـــمَد إليه ، إذا قَصَده ، وعلى ذلك : فالصمد : هو المقصود في الحوائج ، الذي يصمد إليه في قضاء الحـــوائج ،

---

١٠١ – ص: [٥].

١٠٢ – الإخلاص : [٣].

ويستغاث به ويُدعى سبحانه وتعالى . فإن أنكر ذلك وقال : إن الله ليس بصمد ، فقد كفر ، لأنه جحد ما ذكره الله تعالى ، ولو لم يجحد آخر السورة **﴿ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾** ، فالذي يجحد أول السورة ، مكذِّبٌ لله سبحانه وتعالى وكافر ، كالذي يجحد آخرها .

قوله : [وقال الله تعالى : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ﴾ [١٠٣] ففرَّق بين النوعين ، وجعل كلاًّ منهما كفرا مستقلا]

﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ﴾ والعطف يقتضي المغايرة ، فغاير الله سبحانه وتعالى بين النوعين : ١- اتخاذ الولد ٢- واتخاذ الآلهة .

قوله : [وقال تعالى : ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم ، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ﴾ [١٠٤] ففرق بين الكفرين]

هنا أيضا فرّق الله بين النوعين فقال : **﴿ وجعلوا لله شركاء الجن ﴾** أي عبدوا الجن ، كما قال تعالى عن إبراهيم : **﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان ﴾** [١٠٥]، فهؤلاء جعلوا لله شركاء الجن **﴿ وخلقهم ﴾** أي وقد خلق الله سبحانه وتعالى الجن ، فالجن مخلوقون لله ، وهؤلاء قد عبدوهم من دون الله عز وجل . قال: **﴿ وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ﴾** [١٠٦]، **﴿ خرقوا ﴾** يعني اختلقوا له سبحانه وتعالى بنين وبنات بغير علم ، فعطف سبحانه بين النوعين ، فدل ذلك كما تقدم على المغايرة .

" الجواب الثاني عن الشبهة العاشرة "

قوله : [(ففرّق بين الكفرين) والدليل على هذا أيضا أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلا صالحا لم يجعلوه ابن الله ، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك]

فيقال له أيضا : إن المشركين لم يكونوا يعتقدون أن اللات ابن الله تعالى ، ولم يكونوا يعتقدون أن العزى ولا مناة ولد الله ، وكذلك الذين كانوا يعبدون الجن لم يكونوا يعتقدون أن الجن بنات الله .

" الجواب الثالث عن الشبهة العاشرة "

١٠٣ – المؤمنون :[٩١].
١٠٤ – الأنعام : [١٠٠].
١٠٥ – طه: [٤٤].
١٠٦ – الأنعام: [١٠٠].

قوله : [وكذلك أيضا العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب حكم المرتد أن المسلم إذا زعم أن لله ولداً ، فهو مرتد وإن أشرك بالله فهو مرتد ، ويفرقون بين النوعين ، وهذا في غاية الوضوح]

العلماء في كل مذهب في كتاب حكم المرتد يذكرون النوعين ، كل نوع بمفرده ، فيكفرون من اعتقد أن لله ولدا ، ويكفرون من أشرك بالله سبحانه وتعالى ، هذا في كل مذهب : مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، ففي كتاب حكم المرتد تجد أنهم ينصون على أنواع كثيرة من الكفر ، ومنها الشرك بالله ومنها اتخاذ الولد ، ومنها جحد ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، كتحريم الحلال المجمع عليه ، وتحليل الحرام المجمع عليه ، وجحد الواجب المجمع عليه .

قوله : [وإن قال : ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقل : هذا هو الحق ، ولكن لا يُعبدون] فإن احتج بهذه الآية **﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾** على عبادة الصالحين ، فقل له : هذا هو الحق ، ولكن لا يُعبدون .

والناس في الأولياء على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أهل الغلو ، وهم الذين غلوا في الصالحين من العلماء والعباد والزهاد فرفعوا الصالحين عن مترلتهم التي أنزلهم الله سبحانه وتعالى فيها ، فوقعوا في الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر .

القسم الثاني:هم أهل الجفاء ، وهم الذين لا يعطون الصالحين حقهم من المحبة والنصرة والتبجيل .

وأما القسم الثالث : فهم الوسط ، وهم الذين يعطون الصالحين حقهم من التبجيل والاحترام والحب والنصرة ، لكنهم لا يغلون فيهم .

فعيسى ابن مريم مثلا ، أهل الغلو وهم النصارى ، جعلوه ابنا لله سبحانه وتعالى ، وأهل الجفاء وهم اليهود جعلوه ابن بغي قبحهم الله ، وأما أهل الإسلام ، فإنهم قالوا : هو عبد الله ورسوله ، وهكذا أيضا في النبي عليه الصلاة والسلام وفي الأولياء . فأهل الإسلام أهل الوسط ، يعطون الولي الصالح حقه ، لكنهم لا ينقصون ن حق الله شيئا فيحفظون حق الله ، ويحفظون حق عباده.

والولي من الوَلاية ، بفتح الواو : وهي النُّصرة والمحبة والقُرْب . والولي : هو المؤمن التقي ، قال تعالى : **﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾** [١٠٧]، وقال سبحانه : **﴿ وما كانوا أولياءه ، إن أولياؤه إلا المتقون ﴾** [١٠٨]، وقال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين : **(إن**

[١٠٧] – يونس : [٦٣].
[١٠٨] – التوبة : [٣٤].

آل فلان ليسوا لي بأولياء ، إنما وليي الله وصالحُ المؤمنين)[١٠٩] . وبحسب ما يكون عند العبد من التقوى والإيمان ، فله من الولاية بقدر ذلك ، ولذا فكل أهل الإسلام من أولياء الله بحسب ما عندهم من الدين والعلم ، قال تعالى : **﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات ﴾** إلى قوله : **﴿ جنات عدن يدخلونها ﴾** [١١٠]، فبقدر ما يكون عند العبد من العلم والإيمان ينال من ولاية الله سبحانه وتعالى . والله سبحانه لم يقل إن الأولياء هم أهل الأحوال ، وأهل الكرامات ، فلا يحكم على العبد بأنه من الأولياء بمجرد هذه الأحوال ، وإنما ينظر إلى ما هو عليه من الدين ، فإن كان من أهل السنة وجرت على يديه أمثال هذه الأحوال كانت كرامة له .

وأما إن كان من المخالفين للسنة ، فإنها من الأحوال الشيطانية ، وأما الكرامة ، فإنها إنما تكون كرامة إذا وقعت على يد المؤمن التقي ، وأما إذا وقعت على يد الفاجر المبتدع المخالف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنها لا تكون كرامة له ، وإنما تكون من الأحوال الشيطانية . ثم إن الكرامة ليست من لوازم الولاية ، فإن الرجل قد يكون وليا لله سبحانه وتعالى ، ولا يجري على يديه شيء من هذه الكرامات ، وقد تجرى على يد من هو دونه ، فإن الله سبحانه وتعالى قد يُجري الكرامة على يد أحد من المؤمنين لحاجته ولضعفه ، فلضعف تقواه ، يُقوِّيه الله تعالى بهذه الكرامات ، أو لحاجته ، كأن يحتاج إلى شيء من هذه الكرامات لرفع عطش أو جوع أو عدو ونحو ذلك ، فيجريها الله سبحانه وتعالى على يديه ، ولذا فإن هذه الكرامات المنقول منها عن التابعين وأتباعهم أكثر من المنقول منها عن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله عنهم ، فليست الكرامة من لوازم الاستقامة والولاية وأعظم الكرامة لزوم الإستقامة .

قوله : [ونحن لم نذكر إلا عبادتهم مع الله وشركهم معه ، وإلا فالواجب عليك حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم ، ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال ، ودين الله وسط بين طرفين وهدى بين ضلالتين ، وحق بين باطلين ، فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد هو الشرك الذي نزل فيه القرآن]

فالاعتقاد عندهم ، يعني الاعتقاد في الصالحين ، وقد يسمونه كبير الاعتقاد ، فكبير الاعتقاد أو الاعتقاد عند القبوريين ، هو الالتجاء إلى الصحالين .

---

١٠٩ – صحيح البخاري :[٥٥٣١]كتاب : الأدب . باب : تبل الرحم ببلاها.ومسلم برقم [٢١٥] باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه .

١١٠ – فاطر : [٣٢-٣٣]

" بيان ان شرك الأولين أخف من شرك المتأخرين من وجهين "

قوله : [وقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس عليه ، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين ، أحدهما : أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء ، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء ، كما قال تعالى : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم ، وكان الإنسان كفورا ﴾[١١١] ، وقوله ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾ ﴿ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير تدعون إن كنتم صادقين ﴾[١١٢] وقوله : ﴿ وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ، ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار ﴾ [١١٣]، وقوله : { وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ [١١٤]]

فهذه الأدلة دالة على أن المشركين الأولين كانوا يخلصون لله في حال الشدة ؛ لأنه هو الإله الأعظم عندهم ، وإنما يشركون مع الله سبحانه وتعالى في حال الرخاء ، هذا فرق بين المشركين في زماننا والمشركين في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن المشركين في العصور المتأخرة يشركون في حال الرخاء وفي حال الشدة ، فإذا أصيب بمرض أو كانت امرأته عاقرا – عقيما – أو أصيب بمصيبة ، فإنه يلجأ إلى الأضرحة من دون الله ويستغيث بهم فهم مشركون بالله في حال الشدة وفي حال الرخاء .

قوله : [فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه ، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء ، وأما في الضراء فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له ، وينسون سادهم ، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا ، وشرك الأولين ، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما جيدا راسخا ، والله المستعان . والأمر الثاني : أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله ، إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة أو يدعون أشجاراً أو أحجاراً مطيعة لله ليست عاصية ، وأهل زماننا يدعون أناسا من أفسق الناس ، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم

١١١ – الإسراء :[٦٧]
١١٢ – الأنعام : [٤٠]
١١٣ – الزمر: [٨]
١١٤ – لقمان : [٣٢]

الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك ، والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي الله مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به]

هذا أيضا فرق آخر فإن المشركين الأولين كانوا يلجؤون إلى من يعتقدون أنهم صالحون ، فكانوا يعبدون الملائكة والأولياء والصالحين كاللات ، وأما مشركو زماننا فإنهم يعبدون أناسا يحكون عنهم الفسق ، فهم فساق وفجار ، ولا يخفى هذا على هؤلاء العابدين لهم ، بل يحكون عنهم في طبقاتهم وكتبهم أنهم يأتون الفواحش من الزنا واللواط ، وأنهم يسرقون وغير ذلك ، ومع ذلك لاعتقادهم أن هؤلاء قد رفعت عنهم التكاليف ، فإنهم كانوا يعبدونهم من دون الله سبحانه وتعالى ، وأما المشركون الأولون فكانوا لا يعبدون إلا من يعتقدون أنه صالح أو يعبدون الأحجار والأشجار التي تسبح الله سبحانه وتعالى ولا تعصيه .

وثمة فرق ثالث أيضا : وهو أن مشركي العصور المتأخرة من المنتسبة إلى الإسلام أشركوا أيضا في باب الربوبية ، فاعتقدوا أن لهؤلاء الأولياء أو الأقطاب أو الأوتاد تأثيرا وتصرفاً وتدبيراً للكون ، وهذا شرك في الربوبية ، ولما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قال : " وشرك الأولين لم يصل إلى هذه الغاية " ، يعني أن يُعتقد أن هذا له تأثير وتصرف وتدبير الكون .

" الشبهة الحادية عشرة : زعمهم أنهم يقرون بالشهادتين بخلاف المشركين "

قوله : [إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء ، فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا ، وهي من أعظم شبههم ، فأصغ سمعك لجوابها ، وهي أنهم يقولون : إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وينكرون بالبعث ، ويكذبون بالقرآن ، ويجعلونه سحرا ، ونحن نشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ، ونصلي ونصوم ، فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟]

هذه شبهة شائعة ، وهي شبهة عظيمة كما قال الشيخ رحمه الله ، وهي أنهم يقولون : إن المشركين الذين بعث إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا لا يشهدون ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وكانوا ينكرون البعث ، وأما هؤلاء الذين يلجؤون إلى الأولياء ، فإنهم يقولون : نحن نشهد ألا إله إلا الله ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وهم يصلون ويصومون ، ويزكون ويحجون البيت ، ويؤمنون بالبعث ويؤمنون بالقرآن ، بل منهم من يحفظ القرآن ويكون له اشتغال بالفقه أو برواية الحديث وحفظ أسانيده ، إلى غير ذلك ، فيقولون : كيف تكفرون هؤلاء وهم يشهدون ألا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .

" الجواب عن الشبهة من أوجه الأول "

قوله : [فالجواب : أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدّق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شيء وكذّبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام ، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه ، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة ، أو أقر بهذا كله وجحد وجوب الصوم ، أو أقر بهذا كله وجحد وجوب الحج]

فيقال لهم : إنه لا خلاف بين أهل العلم في أن من آمن ببعض ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكفر ببعض ، أنه كافر بالإجماع ، وذلك أن الكفر نوعان : كفر مطلق ، وكفر مقيد .

فالكفر المطلق : هو أن يكفر بكل ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام .

وأما الكفر المقيَّد : فهو أن يكفر ببعض ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام .

فالكفر قد يكون بكل ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد يكون ببعض ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام . ويقال لهم : لو أن رجلا قال : أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويؤمن بالبعث ويؤمن بالجنة والنار والملائكة والقدر خيره وشره ويقيم مباني الإسلام ، ولكنه يقول : إن النكاح حرام والنكاح حلال بالإجماع ، فمن قال : إن النكاح حرام ، فهو كافر ، فهل يكفَّر أم لا يكفر ؟ والجواب أنه يكفر . ولو أنه قال : إني أصلي ، ولكن الصلاة مستحبة وليست بواجبة ، وهو يقول : أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيم أركان الإسلام ، فلا خلاف بين أهل العلم أنه كافر ، إلا أن يكون معذوراً بجهله إن كان مثله يجهل كأن يكون ناشئا ببادية أو حديث عهد بإسلام ، وكذلك لو أحل الربا ، أو أحل الزنا أو استهزأ بالدين ولو كان مازحاً ، إلى غير ذلك مما أجمع أهل العلم على أنه كفر ، فيقال له : هذا الرجل الذي يقول : أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيم مباني الإسلام ، إذا أحل حراماً مجمعاً عليه ، أو حرّم حلالاً مجمعاً عليه ، أو أنكر واجباً مجمعاً عليه كفر بالإجماع ، فكيف إذا كان جاحداً لأصل الدين الذي هو توحيد العبادة ، وتاركاً للتوحيد ، فكيف لا يُكفّر ؟ أتكفِّره بجحوده لفرضية الزكاة ، ولا تكفره بإنكاره للتوحيد الذي هو معنى شهادة ألا إله إلا الله ، فإن معنى " لا إله إلا الله " أي لا معبود بحق إلا الله ، ولذا فإن من شروطها العلم ، والمشروط لا يصح إلا بشرطه ، فإذا عِلَم أنه لا إله إلا الله ، صحت منه لا إله إلا الله وإلا فلا .

قوله : [ولما لم ينقد أناس في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحج أنزل الله في حقهم

﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ [١١٥]]

لما لم ينقد – أي لم يلتزم – أناس في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحج أنزل الله تعالى:**﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾** ففي تفسير ابن جرير عن عكرمة أن اليهود لما نزل قول الله تعالى:**﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾** قالوا:نحن مسلمون ، فلما نزل قول الله عز وجل:**﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾** قالوا : إن الحج لم يكتب علينا .

ولأهل العلم في الواو في قوله تعالى : **﴿ ومن كفر ﴾** قولان :

- القول الأول : أنها عاطفة .
- والقول الثاني : أنها استئنافية .

فإذا قلنا : إنها عاطفة ، فالمعنى : ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر ، أي ومن جحد الحج ، فإن الله غني عن العالمين . فإن الحج عند جمهور السلف لا يُكفّر تاركه ، ذهب بعض السلف إلى كفرتاركه وهو قول ابن حبيب من المالكية ، لكن الصواب وهو الذي عليه جمهور السلف أن تارك الحج لا يكفر ، فقوله **﴿ومن كفر﴾** أي ومن جحد فريضة الحج ، فإن الله غني عن العالمين ، قال ابن عباس رضي الله عنه : " زعم أن الحج لم يفرض عليه " ، وقال الحسن : " لم يره واجبا عليه " ، كما روى ذلك ابن جرير [١١٦] .

والقول الثاني : أن الواو استئنافية ، وعلى ذلك تكون الجملة مستأنفة ، ويكون المعنى : ومن كفر بالله واليوم الآخر ، فإن الله غني عن العالمين .

وعلى ذلك لما لم ينقد أي لم يلتزم ، فما معنى الانقياد والالتزام ؟

معناها أن يعتقد أن الله فرضه عليه وعلى الناس ، يعني يلتزم بأن الحج أو الزكاة أو غير ذلك من الفرائض بأنها واجبة عليه هو وواجبة على الناس ، فليس الالتزام مجرد الإقرار .

أوضح هذا بمثال : إذا قال : إني ملتزم بالدَّيْن ، فليس معنى هذا مجرد إقرار منه بالدين ، بل هو أمر زائد على الإقرار ، فالمعنى أقرُّ بالدَّيْن وألتزم بالوفاء ، وكونه يماطل بعد ذلك ، هذا أمر آخر ، فهذا قد التزم ولكنه ماطل . فهنا لا يكفي مجرد أن يقر أن هذا فرض ، بل لابد أيضا أن يلتزم به ، وإن لم يؤد هذا الركن ، فإذا قال : أقرُّ أنه في كتاب الله فرض وفي سنة رسوله فرض ، ولكنه ليس واجبا عليّ ولا

---

١١٥ – آل عمران : [٧٩]

١١٦ – الطبري / جامع البيان : ١٩/٤

على أمثالي ، فإن هذا لم ينقد . مثال على هذا : إذا قال : إن الشرائع واجبة على العامة ، لكنها لا تجب على من وصل إلى درجة من الولاية ، فيقول : أنا وأمثالي لا تجب علينا التكاليف ، ولذا تجد بعض غلاة المتصوفة الذين يشرحون الفقه يقولون : إن الصلاة فرض بالإجماع ، وقد لا يصلون ، ويقولون : إن الزكاة فرض بالإجماع ، وقد لا يزكون ، وذلك لاعتقادهم أن التكاليف قد رفعت عنهم ، فهذا القائل لم يلتزم ، وإن كان مقراً .

كذلك من يقول : إن الربا حرام بالكتاب والسنة والإجماع ، لكن يقول : عصرنا عصر التقدم ، فلا يحرم علينا في هذا الزمن الربا ، وإنما هذا حرام على أصحاب العصور الحجرية ، فهذا أيضا لم ينقد ، ولذا قال ابن عباس رضي الله عنه : " زعم أنه لم يفرض عليه " ، وقال الحسن : " لم يره واجبا عليه " ، هذا الذي يعبَّر عنه شيخ الإسلام وغيره بالالتزام ، يعني يلتزم بالكتاب والسنة وشرائع الإسلام ، لا أن يقر فقط ، بل يرى أن هذه الشرائع واجبة عليه ، كما أنها واجبة على غيره ، ولذا فإن الذين قالوا : إن الزكاة إنما تجب للنبي عليه الصلاة والسلام ، وأما أن ندفعها لأبي بكر فلا ، فإن صلاة أبي بكر ليست بزكاة لنا ، والله يقول : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾[117] ، قد كفّرهم الصحابة رضي الله عنهم ، وسيأتي الكلام على هذا في موضعه إن شاء الله . إذاً من لم ينقد ولم يلتزم فهو كافر والعياذ بالله .

قوله : [ومن أقر بهذا كله وجحد البعث ، كفر بالإجماع ، وحل دمه وماله ، كما قال تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾[118]،فإذا كان الله قد صرّح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض ، فهو الكافر حقا، وأنه يستحق ما ذُكر ، زالت هذه الشبهة ، وهذه التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا]

" الوجه الثاني في الجواب عن الشبهة الحادية عشرة "

. ويقال أيضا : إن كنت تقر أن من صدَّق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصلاة ، فهو كافر حلال الدم والمال بالإجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث ، وكذلك إذا جحد وجوب صوم رمضان وصدّق بذلك كله ، ولا تختلف المذاهب فيه ، وقد نطق به القرآن كما قدمنا . فمعلوم أن

[117] – التوبة :[١٠٣]

[118] – النساء : [١٩٠- ١٩١]

التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فكيف إذا جحد الإنسان شيئا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ؟ سبحان الله ! ما أعجب هذا الجهل !]

" الوجه الثالث في الجواب عن الشبهة الحادية عشرة "

[ويقال أيضا : هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ويصلون ويؤذنون ، فإن قال : إنهم يقولون : إن مسيلمة نبي ، فقل : هذا هو المطلوب ، إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفر وحلّ ماله ودمه ، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة ، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيا أو نبيا في مرتبة جبار السموات والأرض ؟ سبحان الله ، ما أعظم شأنه ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ﴾[١١٩]]

والمرتدون من العرب قد قاتلهم الصحابة رضي الله عنهم ، وكان منهم من يقول : أشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ؛ وذلك أن العرب لما توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرتد كثير منهم ، وكانوا على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : من رجع إلى عبادة الأصنام ، ومنهم كِنْدة ، تبعوا الأشعث بن قيس الكِنْدي .

والنوع الثاني : من آمن بنبي آخر مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فيقول : أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وأن مسيلمة رسول الله أوأن طُليحة رسول الله . فهؤلاء يؤمنون بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول ، لكنهم آمنوا بنبي آخر ، فمنهم بنو حنيفة ، تبعوا مسيلمة الكذاب ، وذلك أن رجلا يقال له " الرَّجَّال بن عُنْفُوة بن نَهْشل ، وكان قبل ذا دين وعلم أدعى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أناب مسيلمة بعده ، فكان في ذلك فتنة عظيمة ، فكثير ممن اتبعه ظن أنه نبي لشهادة الرجّال، وكان معروفا عندهم بالعلم والدين ، ولذا قال بعض العرب في أبيات من الشعر :

يا سُعاد الفؤاد بنت أثال — طال ليلي بفتنة الرجّال
إنها يا سعاد من أحدث الد — هر عليكم كفتنة الدجال
فُتن القوم بالشهادة والله — عزيز ذو قوة و محال

١١٩ – الروم : [٥٩]

ففتن الناس بهذه الشهادة الكاذبة .

ومنهم بنو أسد اتبعوا طليحة الأسدي ، ثم أسلم رضي الله عنه وحسُن إسلامه ، ومنهم بنوا تميم آمنوا بسُجاح الكاهنة ، وأهل صنعاء قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم آمنوا بالأسود العنسي .

وأما النوع الثالث : فهم الذين لم يلتزموا بالزكاة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا : نقر أن الله قد فرض على عباده الزكاة ، لكنها واجبة لّما كان النبي عليه الصلاة والسلام حيا ، وقد مات فلا زكاة ، وكانوا يقولون : إن الله يقول : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم** ﴾ [١٢٠]قالوا : وصلاة أبي بكر ليست بطهارة لنا ولا زكاة، وكان منهم من قال :

أطعنا رسول الله إذ كان وسطنا فيالـعباد الله ما لأبي بكـر

يـورثنا بَكْـراً إذا مـات بعده فتلك لعمر الله قاصمة الظهر [١٢١]

إذاً هؤلاء كانوا يقولون : إن الزكاة فريضة في الكتاب ويقرون بالآية ويؤمنون بها ، لكنهم كانوا يقولون : إنما كانت فرضا علينا لما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسطنا ، فلما مات وتولى أبو بكر رضي الله عنه فلا تجب علينا .

وهؤلاء كما تقدم غير ملتزمين ، فيقولون : نحن لا نؤدي الزكاة بعد النبي ﷺ بخلاف الذي يمنعها وهو يقر أنها واجبة عليه وعلى الناس ، ثم إنه يمنعها بخلا ، فإن هذا لا يكفر في أصح قولي العلماء ، فالذي يكفر هو الذي يأبى ويمتنع وإن كان يقر ، كالذي يقول : أقر أن لفلان عليّ دين ثم لا يلتزم بسداده ، فهذا يقول : أقر أن الله فرض الزكاة ، لكنها كانت واجبة على الناس لما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيا ، ولذا لّما احتج عمر رضي الله عنه على الصديق بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم**) [١٢٢]، فقال الصديق : " الزكاة من حقها " ، وهذا من فقه الصديق رضي الله عنه ، فإنه استدل بعين الدليل الذي استدل به مخالفه ، ويدل عليه الحديث الآخر : (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدا رسـول الله ويقيمـوا**

[١٢٠] – التوبة : [١٠٣]

[١٢١] – الأغاني [١٤٩/٢] . الشعر والشعراء [١٦٣] .

[١٢٢] – متفق عليه البخاري كتاب الاعتصام . باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم [١٤٠٠] ومسلم كتاب الإيمان . باب الأمر بقتال الناس حتى يقولو لا إله إلا الله محمد رسول الله برقم [٢٠] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الصلاة ويؤتوا الزكاة) [١٢٣] فقال الصديق : " الزكاة من حقها " وقال : " والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال " قال عمر رضي الله عنه : " فرأيت أن الله شرح صدر أبي بكر ، فعلمتُ أنه الحق " ، فاتفق الصحابة رضي الله عنهم على كفرهم وقتالهم ، ولذا لم يَكُفَّ عنهم الصديق حتى شهدوا أن قتلاهم في النار وقتلى المسلمين في الجنة ، كما في البخاري وغيره . إذاً هؤلاء غير ملتزمين ، بخلاف الذي لا يؤدي الزكاة بخلاً بها ، فإنه لا يكفر في أصح قولي العلماء ، مادام أنه ملتزم بها ، فيقول : أنا أزكي ، وهي فرض علي ، لكنه يماطل ، فهذا في أصح قولي العلماء لا يكفر ، وفي المسألة ثلاثة أقوال لأهل العلم هي روايات عن الإمام أحمد :

القول الأول : أنه لا يكفر .

والقول الثاني : أن يكفر .

والقول الثالث : أنه لا يكفر إلا إن قاتل على منعها فإنه يكفر .

قال رحمه الله : " إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفر وحل ماله ودمه ، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة ، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف " :

شمسان : رجل كان يُعبد من دون الله عز وجل قريبا من العارض .

وأما يوسف : فإن رسائل أئمة الدعوة رحمهم الله تدل على أنه كان إما في الأحساء أو في الكويت .

وأما تاج : فإنه كان في الخَرْج ، وكان له ضريح فيها وهي في نجد .

فلو أن رجلا أقر أن هناك نبياً في هذا العصر ، فلا يختلف اثنان أنه كافر ، مع أن بيان التوحيد في الكتاب وفي السنة ، أوضح من بيان أنه لا نبي بعده عليه الصلاة والسلام ، فإن بيان التوحيد أوضح وأظهر . فإذا كان هذا فيمن رفع رجلا إلى درجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فكيف بمن رفع هؤلاء كشمسان أو يوسف أو البدوي أو تاج أو العيدروس أو غيرهم إلى درجة رب الأرض والسموات .

" الوجه الرابع : في الجواب عن الشبهة الحادية عشرة "

قوله : [ويقال أيضا : الذين حرّقهم علي بن أبي طالب بالنار كلهم يدّعون الإسلام وهم من أصحاب علي رضي الله عنه ، وتعلّموا العلم من الصحابة ، لكنهم اعتقدوا في عليّ مثل اعتقادهم في يوسف

[١٢٣] – متفق عليه رواه البخاري كتاب الإيمان – باب فإن تابوا واقامو الصلاة برقم [٢٥]. ومسلم كتاب الإيمان –الأمر بقتال الناس حتى يقولو لا غله إلا الله برقم [١٢٢] من حديث ابن عمررضي الله عنهما.

وشمسان وأمثالهما ، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟! أتظنون أن الصحابة يكفّرون المسلمين ؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر ، والاعتقاد في عليّ بن أبي طالب يكفِّر ؟!]

فهؤلاء الذين ألَّهوا عليا رضي الله عنه ، وهم من أتباع عبد الله بن سبأ الحميري ، حرّقهم عليّ رضي الله عنه بالنار ، واتفق الصحابة على ذلك ، وإنما خالفه ابن عباس رضي الله عنه في كونه عذّبهم بالنار ، واستشهد بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**لا يعذِّب بالنار إلا رب النار**)[١٢٤] كما ثبت هذا في صحيح البخاري وغيره ، فلم يخالفوه في قتلهم وتكفيرهم ، وإنما في طريقة قتلهم ، وهذه القصة ذكرها شيخ الإسلام في منهاج السنة ، وذكرها ابن حزم في الملل والنحل ، وهي قصة مشهورة في كتب الإسلام .

" الوجه الخامس : في الجواب عن الشبهة الحادية عشرة "

قوله : [ويقال أيضا : بنو عبيد بن القدَّاح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويدّعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة ، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه ، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم ، وأن بلادهم بلاد حرب ، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلاد المسلمين]

بنو عُبَيْد بن القَدَّاح ، وهم الذين يسمون أنفسهم بالفاطميين كذباً وزورا ، وهم الذين ملكوا بلاد مصر والمغرب ، وأنشؤوا الجامع الأزهر - مذكَّر الزهراء — وقد أجمع أهل العلم على أنهم كفار ، وأن دارهم دار حرب ، وقاتلوهم حتى استنقذوا بلاد الإسلام منهم ، مع أنهم كانوا يقولون : أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وكانوا يؤذنون، ويبنون المساجد والمدارس .

" الوجه السادس : في الجواب عن الشبهة الحادية عشرة "

قوله : [ويقال أيضا : إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك ، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب " باب حكم المرتد " ؟ وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ، ثم ذكروا أنواعا كثيرة، كل نوع منها يُكفِّر ويحل دم الرجل وماله ، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه ، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب]

فذكر الفقهاء رحمهم الله تعالى في باب حكم المرتد أنواعا كثيرة مما يكفر به الرجل بعد إسلامه ، قال " مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه " كالذي يسب الله ورسوله عليه الصلاة والسلام ، فإن أهل العلم أجمعوا

---

[١٢٤] – رواه البخاري برقم [٢٨٥٣] كتاب الجهاد باب لا يعذب بعذاب الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

على أنه يكفر ، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : " وإن لم يعتقد أو ذهل عن عقيدته " قال " وهو قول سائر أهل السنة والجماعة الذين يقولون : إن الإيمان قول وعمل " ، وقال ابن حزم رحمه الله تعالى في المُحلَّى : " سواء اعتقد بقلبه أو لم يعتقد " ، فالذي يسب الله أو الرسول ويكون معه عقله فإنه يكفر بهذه الكلمة ، أما الذي لا يكون معه عقله كالذي يكون في جنون أو في غضب لا يدري معه ما يقول ، فإن هذا لا عقل له ، فهذا كالسكران لا يكفر بذلك .

قال : " أو كلمة يذكرها على وجه المزاح واللعب " ، ولذا أجمع أهل العلم على من أستهزأ بالدين، فإنه يكفر ولو كان مازحا ، قال في البحر الرائق ، وهو من كتب الأحناف : " وإن لم يعتقد بقلبه"، والأحناف لا يقولون : إن الإيمان قول وعمل ، ومع ذلك فإنهم قالوا هنا : " وإن لم يعتقد بقلبه " ، فهذا بإجماع العلماء كلهم ، وتقدم هذا في كتاب التوحيد .

" الوجه السابع : في الجواب عن الشبهة الحادية عشرة "

قوله : [ويقال أيضا : الذين قال الله فيهم : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ، وكفروا بعد إسلامهم ﴾ [١٢٥]، أَمَا سمعت الله كفّرهم بكلمة ، مع كونهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون ؟]

فكفّرهم الله تعالى بالكلمة ، فقال : ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر** ﴾ فجعل الكفر بالكلمة ، ولذا قال ابن حزم رحمه الله تعالى [١٢٦]: " ولا اختلاف بين أهل العلم أن من الكلام ما يكون كفرا ، وهي أقوال معروفة دل عليها القرآن " ثم احتج بهذه الآية ، فلا خلاف بين أهل العلم أن من الكلام ما يكون كفرا ، وهؤلاء الذين قالوا كلمة الكفر ، وقد قيل : إنه عبد الله بن أبي ، قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، وقيل : إنه الجلاّس ، قال : لئن كان ما يقوله محمدا صدْقا ، لنحن أشر من الحمير " ، قال ابن جرير رحمه الله تعالى : " سواء كانت هذه الكلمة أو كانت غيرها ، فهي كلمة قيلت ، وهي كلمة كفر " . وهؤلاء الذين قالوا كلمة الكفر ، لو كان ينفعهم وينجيهم أن يقولوا : إنا لم نعتقد ، لقالوا ذلك ، و لم يكذِّبوا الشهود الذين نقلوا هذه الكلمة ، ودل على أنه قد تقرر عندهم أن هذا لا ينجيهم ، وكذلك الذين قالوا : إنما كنا نخوض ونلعب ، و لم يقولوا : إن هذه الكلمة خرجت من اللسان ولكنا لم نقصد و لم نعتقد ، وإنما قالوا : إنما كنا نخوض ونلعب ، فلم يقبل الله ذلك منهم ، بل قال

١٢٥ – التوبة : [٧٤]

١٢٦ – المحلى لا بن حزم [١٢/٤٣٥-٢٣٦] .

: ﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون** ﴾[١٢٧] . فالكفر منه ما يكون بالكلمة ، ويرجع في ذلك إلى ما دل عليه كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وما عليه أهل العلم في ذلك .

قوله : [وكذلك الذين قال الله فيهم ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ [١٢٨]، فهؤلاء الذي صرّح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك ، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح]

ولا يقال : إنهم كفار لكونهم منافقين ، وذلك لأن المنافق يحكم عليه بالإسلام في الظاهر ، وأما باطنه فإلى الله سبحانه ، ولذا قال تعالى : ﴿ **قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾، وقال في الآية قبلها :

﴿ **وكفروا بعد إسلامهم** ﴾، فليس تكفيرهم لكونهم منافقين ؛ لأن المنافق محكوم له في الظاهر بالإسلام ، فالحكم هنا على هذه الكلمة التي قالوها ، ولذا قال في الآية الأولى : ﴿ **وكفروا بعد إسلامهم** ﴾ ، وقال في الأخرى : ﴿ **كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ .

[فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم : تكفِّرون من المسلمين أناسا يشهدون ألا إله إلا الله ، ويصلون ويصومون ، ثم تأمل جوابها ، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق]

" الوجه الثامن : في الجواب عن الشبهة الحادية عشرة "

قوله [ومن الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم، أنهم قالوا لموسى ﴿ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾ [١٢٩]،وقول أناس من الصحابة:اجعل لنا ذات أنواط، فحلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن هذا نظير قول بني إسرائيل ﴿ اجعل لنا إلها ﴾]

هذا الدليلان يدلان على أن من قال " لا إله إلا الله " وأتى بناقض من نواقض الإسلام ، فإنه يكفر، فلما قال بنو إسرائيل ﴿ **اجعل لنا إلها كما لهم آلهة** ﴾ قال ﴿ **إنكم قوم تجهلون ، إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون** ﴾ ، وكذلك في قصة ذات أنواط ، فهؤلاء سألوا و لم يفعلوا، ولا خلاف في أنهم لو فعلوا لكفروا ، ثم إنهم نُبِّهوا فتنبّهوا ، والذي يُنبّه فيتنبه من ساعته ، لا حاجة إلى تكفيره ، فإذا قال رجل : إن الصلاة ليست واجبة ، فنبه ، فتنبه ، فأقر بوجوبها من ساعته ، فلا نحتاج إلى تكفيره ، فهؤلاء نُبِّهوا

---

١٢٧ – التوبة : [٦٥]

١٢٨ – التوبة : [٦٥-٦٦]

١٢٩ – الأعراف [١٣٨]

فتنبهوا ، وهذه القصة دالة على ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى ، ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما هم آلهة**) .

" الشبهة الثانية عشرة : في قصة ذات أنواط وبنوا إسرائيل "

قوله : **[ولكن المشركين لهم شبهة يدلون بها عند هذه القصة ، وهي أنهم يقولون : إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك ، وكذلك الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : (اجعل لنا ذات أنواط) لم يكفروا]**

" الجواب عن الشبهة "

[فالجواب أن نقول : إن بني إسرائيل لم يفعلوا ، وكذلك الذين سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يفعلوا ذلك ، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا ، وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب]

" فوائد هذه القصة "

[١- أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك وهو لا يدري عنها

٢- فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل : التوحيد فهمناه ، أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان .

٣- وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

٤- وتفيد أيضا أنه لو لم يكفر يُغلّظ عليه الكلام تغليظا شديدا ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

" الشبهة الثالثة عشر: استدلالهم بقصة أسامة "

وللمشركين شبهة أخرى يقولون : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنكر على أسامة قتل من قال : " لا إله إلا الله " وقال له : (أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله) [١٣٠]، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله

[١٣٠] – أخرجه البخاري في كتاب المغازي . باب : بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة رقم : [٤٢٦٩]. ومسلم ، كتاب الإيمان باب : ترحيم قتل الكافر بعد قوله (لاإله إلا الله) رقم : [٩٦] .من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه .

وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) [١٣١]**، وأحاديث أُخر في الكف عمن قالها ، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل]**

وهذه شبهة من شبه هؤلاء ، فإنهم يقولون : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**)[١٣٢] كما في الصحيحين ، وأنكر على أسامة بن زيد رضي الله عنهما لما قتل الرجل الذي قال " لا إله إلا الله " تعوذاً ، كما في الصحيحين ، فيستدلون بهذين الدليلين على أن من قال " لا إله إلا الله " فإنه لا يكفر ولو أتى بما ينقض الدين وبما هو كفر في كتاب الله أو في سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

" الجواب عن الشبهة من ثلاثة أوجه : الأول "

[فيقال لهؤلاء المشركين الجهال : معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتل اليهود وسباهم وهو يقولون " لا إله إلا الله " ، وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويصلُّون ويدَّعون الإسلام ، وكذلك الذين حرّقهم علي بن أبي طالب بالنار]

" الوجه الثاني في الجواب عن الشبهة "

[وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقُتل ولو قال " لا إله إلا الله " وأن من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها ، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعا من الفروع ، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسول ورأسه ؟ ، ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث]

" الوجه الثالث في الجواب عن الشبهة : توجيه حديث أسامة "

فأما حديث أسامة ، فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن ما ادعى الإسلام إلا خوفا على دمه وماله ، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله تعالى في ذلك ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ [١٣٣]**أي فتثبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت ، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل ، لقوله تعالى : ﴿ فتبينوا ﴾ ، ولو**

---

١٣١ – أخرجه البخاري ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم . باب : قتل من أبى قبول الفرائض رقم : [٦٩٢٤]ومسلم ، كتاب الإيمان باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : (لا إله إلا الله) رقم : [٢١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

١٣٢ – سبق تخريجه ص( ) .

١٣٣ – النساء : [٩٤]

كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى ، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله ، معناه ما ذكرناه وأن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه ، إلا ان تبين منه ما يناقض ذلك ، والدليل على هذا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال : (أقتلته بعدما قال " لا إله إلا الله " ")[١٣٤] وقال (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)[١٣٥] هو الذي قال في الخوارج : (أينما لقيتموهم فاقتلوهم[١٣٦] ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)[١٣٧]]

إذاً هؤلاء يقال لهم أولاً : إن اليهود كانوا يقولون " لا إله إلا الله " ومع ذلك ، فإن هذه الكلمة لم تنفعهم لما أنكروا نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وجحدوا بها ، وكذلك ما تقدم من بني حنيفة ، فإن قولهم أنه " لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله " لم ينفعهم لما أقروا لمسيلمة الكذاب بأنه نبي ، وكذلك ما أجمع عليه أهل العلم من أن من قال " لا إله إلا الله " ثم أنكر واجبا ظاهرا مجمعا عليه من واجبات الإسلام ، كالصلاة أو الزكاة ، فإنه يكفر ، ومن أنكر البعث فإنه يكفر ، وإن كان يقول " لا إله إلا الله " . فإذا كان الذي يجحد ذلك يكفر ، فكيف لا نكفر الذي يجحد التوحيد ويشرك بالله ويعبد معه غيره ؟ . وأما حديث أسامة رضي الله تعالى عنه ، فإن فيه أن من قال " لا إله إلا الله " وجب الكف عنه حتى يتبين منه ناقض من نواقض الإسلام ، فإذا قال " لا إله إلا الله " كففنا عنه ، ثم إذا أنكر البعث لم نكف عنه ، وإذا أنكر الصلاة لم نكف عنه . إذاً من قال " لا إله إلا الله " وجب الكف عنه ؛ ولذا أنكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أسامة ، لأن هذا الرجل قال " لا إله إلا الله " فوجب الكف عنه ، لكن أسامة ظن أنه قال ذلك تعوذا فقتله ، فأنكر ذلك عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذا قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾**[١٣٨] أي تثبتوا ، فإذا التبس عليكم أمر أحد فكفوا عنه حتى تعلموا حاله ، فمن حياكم بتحية الإسلام ، فقد أظهر لكم الإسلام ، فكفوا عنه حتى تتبينوا حاله . إذاً هذه الآية إنما فيها وجوب التثبت فيه وكذلك ما تقدم من حديث أسامة ، فإن في ذلك وجوب الكف عنه ما لم يثبت منه

---

١٣٤ – سبق تخريجه ص ( ) .

١٣٥ – سبق تخريجه ص ( ) .

١٣٦ – أخرجه البخاري ، كتاب الأنبياء . باب : قول الله تعالى : (وإلى عاد أخاهم هودا) رقم : [٣٣٤٤] ومسلم ، كتاب الزكاة باب : إعطاء المؤلفة رقم : [١٠٦٠] من حديث ابي سعيد الخدري .

١٣٧ – أخرجه البخاري كتاب المناقب . باب : علامات النبوة في الإسلام رقم [٣٦١١] ، ومسلم في كتاب الزكاة باب : إعطاء المؤلفة ومن يخاف إلى إيمانه رقم : [١٠٦٦] عن علي رضي الله عنه

١٣٨ – النساء : [٩٤]

ناقض من نواقض الإسلام ، وقد أخذ بعض العلماء من قوله صلى الله عليه وسلم : (**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**) ومن قوله :

(**يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميه**) تكفير الخوارج .

وهو أحد القولين في مذهب أحمد والشافعي ومالك ، وهو مذهب بعض أهل الحديث .

والقول الثاني ، وهو الراجح ، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : أن الخوارج ليسوا بكفار ؛ فإن الآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم دالة على ذلك ، فمن ذلك :

- قول علي رضي الله عنه كما في البيهقي وغيره : " من الكفر فروا " [١٣٩].
- ونهى عن قتل عبد الرحمن بن مُلجم ، وقال : " إن مت فالقصاص " .
- وكذلك ما كان يقع بين ابن عباس رضي الله عنه والخوارج من المجادلة ، فإنه كان يعاملهم معاملة أهل الإسلام ، كما ورد هذا في صحيح مسلم وغيره .

قوله : [مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا ، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم ، وهم تعلَّموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم " لا إله إلا الله " ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لّما ظهر منهم مخالفة الشريعة . وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة ، وكذلك أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ [١٤٠]]

وهذه القصة مشهورة في كتب التفسير ، ولها طرق ، ومن أحسنها كما ذكر الحافظ ما رواه الإمام أحمد [١٤١]، وإن كان في سنده جهالة ، لكن القصة مشهورة ، وإنما لا يصح أن يكون صاحب القصة هو الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط رضي الله عنه .

فهؤلاء – وهم بنو المصطلق – قالوا " لا إله إلا الله" ، لكن لما منعوا الزكاة أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يغزوهم حتى نزل قول الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ﴾، وقد أجمع أهل العلم على أن من ترك شعيرة من شعائر الإسلام فإنه يقاتل حتى يؤديها فكان شيخ الإسلام ابن

---

١٣٩ – مصنف ابن أبي شيبة : ٥٤٧/٧،وسنن البيهقي : ١٧٣/٨ .وفي البيهقي " من الشرك فروا " [١٧٤/٨] .

١٤٠ – الحجرات : [٦]

١٤١ – مسند الإمام احمد : [١٨٤٥٩] من حديث الحارث ابن ضرار الخزاعي [٤٠٣/٣٠] .

تيمية رحمه الله تعالى وغيره ، فالطائفة التي تترك شعيرة من شعائر الإسلام تقاتل ولا يلزم من ذلك التكفير ، ولذا فإن أهل العلم يقولون في الأذان مثلا : إذا تركه أهل قرية قوتلوا ، فالطائفة المانعة لشعيرة من شعائر الإسلام تقاتل وإن لم تكفر .

وأما إذا كانت ممتنعة – يعني غير ملتزمة – بهذه الشعيرة من شعائر الإسلام ، فتقدم أن الطائفة التي تمتنع أي لا تلتزم بهذه الشعيرة ، فهي طائفة كافرة ، وأنه لا يكفي الإقرار حتى يلتزم ويرى أن ذلك فرض عليه وعلى الناس.

قوله : [وكان الرجل كاذبا عليهم ، فكل هذا يدل على أن مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه].

" الشبهة الرابعة عشرة : في الإستغاثة بالنبي ﷺ يوم القيامة "

[ولهم شبهة أخرى ، وهي ما ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى ، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا]

فهؤلاء يستدلون باستغاثة الناس يوم القيامة بأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام في أن يقضي فيهم، قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة وهي طلب الغوث في الشدائد ، ليست شركا .

" الجواب عن الشبهة "

[فالجواب أن نقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه ، فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها ، كما قال الله تعالى في قصة موسى : ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ [١٤٢] وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق]

فالاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه المخلوق ، هذه ليست شركا ، فالله يقول :**﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾** ، فإذا كان هذا المخلوق الذي تستغيث به يقدر على أن يغيثك وكان حيا يسمع كلامك وهو حاضر ، فإن هذا جائز ، وليس هذا من الشرك ، فدعاء الحي الحاضر الذي يسمع كلامك فيما يقدر عليه المخلوق ليس بشرك .

قوله : [ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله ، إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن

[١٤٢] – القصص : [١٥]

يحاسِب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف ، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك ، وتقول له : ادع الله لي ، كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسألونه ذلك في حياته]

ولذا فإن الناس في الموقف لا يقولون للأنبياء : أغيثونا ، وإنما يقولون : اسألوا الله لنا ، ألا ترون ما نحن فيه ، ألا تدعوا الله لنا . ثم إنهم إنما استغاثوا بأحياء حاضرين يسمعون كلامهم وفي أمر يقدر عليه المخلوق ، وهذا كما في الصحيحين لما أتى رجل والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب ، فقال له : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله لنا ، ولم يقل : فأغثنا ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**اللهم أغثنا**) [١٤٣]، إذاً هذا سؤال حي حاضر يسمع الكلام فيما يقدر عليه المخلوق ، وهؤلاء قد قاسوا الأموات على الأحياء ، وهذا من أفسد القياس ، **﴿ وما يستوي الأحياء ولا الأموات ﴾** [١٤٤]، فهم قد قاسوا الأموات الذين قد انقطع تكليفهم وطويت صحفهم وانقلبوا إلى دار أخرى على الأحياء ، فمثلهم كالذي يسأل حجرا أو شجرا ، وليس في الشرع ولا في القدر أن الأموات يُسألون فيسألون الله سبحانه وتعالى ويرفعون حاجة السائل إلى الله سبحانه وتعالى فقد جعلوا ذلك سبباً وهو ليس بسبب ، لا في شرع الله ولا في قدره قاسوا الأموات على الأحياء ، وهذا من أفسد القياس ، وقالوا على الله ما لا علم لهم به ، وظنوا ظنونا فاسدة ، **﴿ إن يتبعون إلا الظن ، وإن هم إلا يخرصون ﴾**[١٤٥] ، فثبت بذلك أن سؤال الأموات والاستغاثة بهم شرك أكبر ، وتقدم أن الاستغاثة نوع من الدعاء ، لأنها تكون في الشدة ، والدعاء يكون في الرخاء والشدة ، فالدعاء أعم من الاستغاثة ، والاستغاثة أخص ، فهي نوع منه ، وقد قال تعالى : **﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي ﴾** فسمى الله عز وجل الدعاء عبادة ، وقال عليه الصلاة والسلام كما في الترمذي وغيره : (**الدعاء هو العبادة**) .

قوله : [وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره صلى الله عليه وآله وسلم ، فكيف دعاؤه نفسه ؟]

فالسلف قد أنكروا على من دعا الله عند قبره عليه الصلاة والسلام أو عند قبر رجل صالح ، فكيف بمن دعا هذا المَيْت ، وأنكر علي بن الحسين رضي الله عنهما على رجل كان يأتي إلى فرجة عند قبر النبي

---

[١٤٣] – رواه البخاري برقم [٩٦٨] كتاب الاستسقاء باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة . ومسلم برقم [٨٩٧] كتاب الاستسقاء . باب الدعاء في الاستسقاء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

[١٤٤] – فاطر : [٢٢]

[١٤٥] – الأنعام :[١١٦]

صلى الله عليه وآله وسلم فيصلي ويدعو ، وقد نص غير واحد من السلف على أن قصد القبر لدعاء الله عز وجل عنده بدعة ، فإذا كان هذا في دعاء الله عند القبر ، فكيف بدعاء الأموات والاستغاثة بهم.

" الشبهة الخامسة عشر : في قصة إبراهيم مع جبريل عليهما السلام "

قوله : [ولهم شبهة أخرى : وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما أُلقي في النار ، اعترض له جبريل في الهواء فقال له : ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم عليه السلام : أما إليك فلا]

وهذه القصة قد ذكرها ابن جرير عن بعض التابعين ، فيستدلون بهذه القصة على جواز الاستغاثة بغير الله وسؤال الأموات تفريج الكربات وإنزال الحوائج بهم ، فقال الشيخ :

[قالوا : فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركا ، لم يعرضها على إبراهيم].

" الجواب عن الشبهة "

فالجواب : إن هذا من جنس الشبهة الأولى ، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه ، فإنه كما قال الله تعالى فيه : ﴿ شديد القوى ﴾ فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره الله تعالى أن يضع إبراهيم في مكان بعيد عنهم لفعل ، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل ، وهذا كرجل غني له مال كثير ، يرى رجلا محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يهب له شيئا يقضي به حاجته ، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منّة فيه لأحد ، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون ؟]

إذاً : أولاً : هذه القصة لا تصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنما ذكرها بعض التابعين.

وثانيا نقول : إن جبريل عليه السلام حي حاضر يسمع الكلام والسؤال فيما يقدر عليه ، فقد عرض على إبراهيم عليه السلام أن يزيل عنه الشدة التي هو فيها ، وهذا الأمر مقدور لجبريل عليه الصلاة والسلام ، فأين هذا من دعاء الأموات ، وإنما مثل هذا كما قال الشيخ ، كمثل رجل غني له مال ، وله صاحب فقير ، فعرض عليه شيئا من ماله ، ولكن هذا الفقير آثر الصبر حتى لا يكون لأحد عليه منة ، فهذا موقف إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

وهناك قصة أخرى يستدلون بها ، وهي ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله أحبسوا يا عباد الله أحبسوا فإن لله حاضراً في**

الأرض سيحبسه)[١٤٦]، وهذا الحديث لا يصح أولاً ، فإن فيه معروف بن حسان وهو منكر الحديث . وثانيا : أن هذا ليس من هذا الباب ، فإن لله عز وجل جنودا ، ولا يعلم جنود ربك إلا هو ، فهذا يخاطب الجنود الذين لا يعلمهم إلا الله وهم في هذا الموضع الذي هو فيه ، ولذا قال (**فإن لله حاضرا**) ، فهو يسأل حاضرا يسمع كلامه ، ويناديه بالعبودية لله فيقول (**يا عباد الله ، احبسوا**) ؛ لأن هؤلاء العباد الذين هم من جنود الله يرونه من حيث لا يراهم ، فأين هذا من دعاء الأموات والاستغاثة بهم .

ومن ذلك ما يستدل به بعضهم ، وهم كما هو معلوم يقعون على أشياء في التواريخ أو في السير ليس لها إسناد صحيح ، ويذكرها أهل العلم لأن عندهم جوابا عليها ، فمن ذلك ما ذُكر في بعض التواريخ : أن الصحابة رضي الله عنهم كان شعارهم في قتال المرتدين " وا محمداه " ، فيقولون : هذا يدل على أنهم كانوا يدعونه ، كأنهم يقولون : يا محمد . وهذا من أغرب الاستدلال ، وهل قول قُطز رحمه الله : وا إسلاماه ، دعاء للإسلام من دون الله ؟ وعندما يقول من يخشى أن يُنتهك عرضه : وا عرضاه ، فهل ينادي العرض ؟ ، بل معنى "وا إسلاماه " يعني احفظوا الإسلام ، فإنه سيضيع ، لأن التتار إذا تسلطوا ، فإن الإسلام سيذهب ، لأنهم وصلوا إلى قلب البلدان الإسلامية ، وقربوا من الجزيرة العربية والحرمين ، وأما قول الصحابة " وا محمداه " ؛ لأن الفتنة كانت في باب النبوة ، فإن مسيلمة كان يدعي النبوة ، وهكذا الأسود وطليحة ، فكانوا يقولون " وا محمداه " ؛ لأن النبوة هي التي تنتهك ، فكأن القائل هنا يقول : احفظوا نبوة محمد عليه الصلاة والسلام من دعوى هؤلاء الكذابين .

وقول المرأة : وا معتصماه ، فلأنها كانت تعلم أن هناك من ينقل ذلك إلى المعتصم من عيون المسلمين .

على أن قولها ليس بحجة فمثل هذه الاستدلالات التي يعارضون بها الكتاب والسنة وإجماع السلف ، ويعارضون بها العقل الصريح وفطرة الله التي فطر العباد عليها ، هذا كله من سلوك طريقة أهل الضلالة والبدع .

"خاتمة في أركان التوحيد "

قوله [**ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة جداً ، تُفهم مما تقدم ، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها فنقول : لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما**]

[١٤٦] – مسند أبي يعلى : ١٧٧/٩. ومعجم الطبراني الكبير بلفظ : (أحبسوا عليَّ) ٢١٧/١٠

فإبليس يعلم التوحيد وكذلك فرعون ، ولذا قال تعالى عن فرعون : **﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾** [١٤٧]، وكذلك أبو طالب كان يعلم أن دين محمد عليه الصلاة والسلام هو دين الحق ، لكنه كان يخشى الملامة ، ولئلا يقال : إنه ترك دين عبد المطلب ، فتعصباً للآباء لم يعمل بالتوحيد الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

" الشبهة السادسة عشر : في العذر بترك التوحيد "

قوله : [وهذا يغلط فيه كثير من الناس ، يقولون : إن هذا حق ونحن نفهم هذا ، ونشهد أنه الحق ، ولكن لا نقدر أن نفعله ، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم أو غير ذلك من الأعذار]

" لا يجوز " : لا يُرضي الناس ولا يجتازعندهم ولا يتقبلونه .

" الجواب عن الشبهة "

قوله : [ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال تعالى :﴿ اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ﴾ [١٤٨]وغير ذلك من الآيات كقوله ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾[١٤٩] ، فإن عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه ، فهو منافق ، وهو شر من الكافر الخالص ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ [١٥٠]]

فلابد أن يجمع بين معرفة التوحيد والنطق به بأن يقول " أشهد ألا إله إلا الله " وأن يعمل بالتوحيد ، ولذا قال تعالى : **﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾**[١٥١] **﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾** [١٥٢]، لابد من معرفة التوحيد بالقلب ومن النطق باللسان ، ولابد أيضا من العمل بالتوحيد بعبادة الله عز وجل ، فيعبد الله وحده لا شريك له ، وجنس العمل ركن في الإيمان فلا يصح الإيمان إلا بالعمل صالح يصدقه .

---

١٤٧ – النمل : [١٤]

١٤٨ – التوبة : [٩]

١٤٩ – البقرة : [١٤٦]

١٥٠ – النساء : [١٤٥]

١٥١ – البينة : [٥]

١٥٢ – النساء : [٣٦]

قوله : [وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به ، لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد ، وترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا ، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه ، فإذا هو لا يعرفه ، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله : أولاهما ما تقدم من قوله تعالى : ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ [١٥٣]، فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب ، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها]

فإذا قال كلمة الكفر سواء كان قد قالها على جهة المزاح أو كان ذلك مداراة لأحد من الناس أو كان ذلك طلبا للمال ، فإن ذلك كله كفر ، وهؤلاء كما ذكر الشيخ من الصحابة ؛ لأنهم في الظاهر كانوا من الصحابة ، وأما في الباطن فأمرهم إلى الله سبحانه وتعالى .

قوله : [والآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ [١٥٤]فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان ، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه ، سواء فعله خوفا أو طمعاً أو مداراة أو مشحّة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله أو فعله على وجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض ، إلا المكره ، فالآية تدل على هذا من جهتين : الأولى قوله : ﴿ إلا من أكره ﴾ فلم يستثن الله تعالى إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل ، وأما عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد .]

هذا هو الوجه الأول ، فهنا الله سبحانه لم يستثن إلا المكره ، فقال سبحانه **﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره ﴾** ، ومعلوم أن الإكراه إنما يكون بالقول أو الفعل وأما عقيدة القلب فلا يدخلها إكراه ، وبهذا يعلم بطلان من قال في تفسير قوله تعالى **﴿ ولكن من شرح بالكفر صدرا ﴾** أي حتى يكون محبا للكفر راضيا به غير معتقد بالتوحيد ، فإن هذا باطل ، فقد يكون معتقدا في قلبه أن هذا هو دين الحق ، ولكن مع ذلك يقول كلمة الكفر إما مزاحا أو مداراة أو طمعا في الدنيا أو مشحّة بالوطن إلى غير ذلك ، ولذا قال هنا : **﴿ إلا من أكره ﴾** فلم يستثن سبحانه وتعالى إلا المكره ، فالمكره فقط هو الذي يستثنى ،

---

١٥٣ – التوبة : [٦٦]

١٥٤ – النحل : [١٠٦-١٠٧]

وعلى ذلك فقوله ﴿ **ولكن من شرح بالكفر صدرا** ﴾ هو الذي يكفر طوعا ، فالذي يكفر طوعا بلا إكراه ، هذا قد شرح صدره بالكفر ، فمتى ما قال الكلمة طوعا بلا إكراه ، فإنه قد شرح صدره بالكفر ، وإن كان قد قالها طلبا للمال ، ولذا قال تعالى : ﴿ **ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة** ﴾ ومعلوم أن هرقل أحب الإسلام وأراد أن يسلم ، وعرض هذا على قومه ، كما ثبت هذا في الصحيح ، فلما حاصوا حيصة ، وخشي على ملكه قال : إنما أردت أن أختبركم ، فالذي منعه من الإسلام حب الملك والجاه ، وهكذا أيضا من اشترى بآيات الله ثمنا قليلا من اليهود والنصارى ، فإنهم يطمعهم في الدنيا جحدوا نبوة محمد عليه الصلاة والسلام .

قوله :[والثانية قوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ فصرّح أن هذا الكفر لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض في الدين أو محبة الكفر ، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا ، فآثره على الدين]

إذاً هذه الآية دالة على هذا المعنى من وجهين كما قرر الشيخ هنا ، وكما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً ، فأولاً : الاستثناء ، فالله لم يستثن إلا المكره ، ومعلوم أن الإكراه يكون على القول والفعل، ولا يكون على عقيدة القلب . وثانياً : أن الله قال في آخر الآية ﴿ **ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة** ﴾ فدل ذلك على أنهم إنما كفروا رغبة في الدنيا لنيل حظوظها الفانية .

ثم قال رحمه الله :[والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين] .

وبهذا نختم الكتاب ، نسأل الله عز وجل أن يرحم مؤلفه وأن يلحقنا به وبمن سبقه من أئمة الإسلام إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين